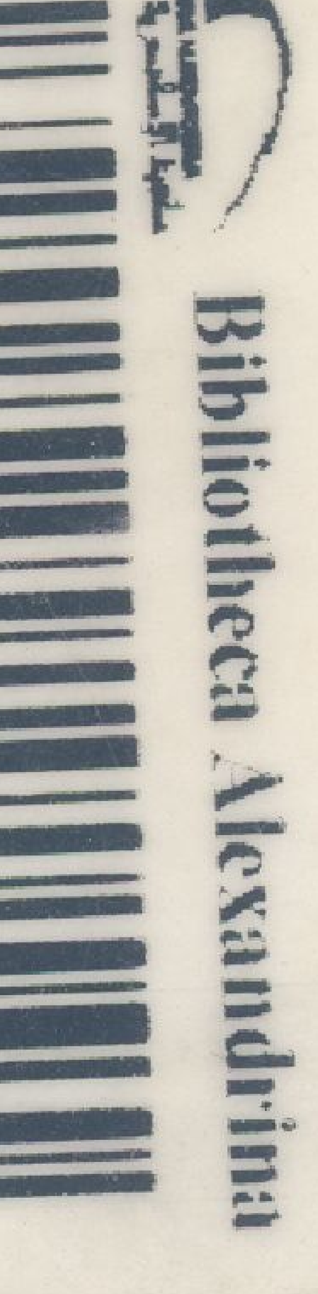
مصطفى محمود





أ العدّ التنازلى



دار المعارف

وبدأ العد التنازلي

كتابات على رمال سيناء

جاء فى سيرة الراهب نيلوس أنه كان محافظًا لمدينة القسطنطينية ، وقد تزوج فيها وولد له صبى وبنت واشتهر منذ صغره بالصلاح والتقوى والزهد فى الدنيا ، فلما بلغ أربعين سنة تمكن زهد الدنيا من قلبه فصمم على ترك وظيفته فترك ما له كله لزوجته وابنته ، وأخذ ولده واسمه عبد الله وهاجر إلى طور سيناء حيث كلم الله موسى ، وأقام هناك قرب مغارة النبى إيليا إلى أن مات فى سنة ٤١١ ميلادية ، ومن المخطوطات التى تركها ، رواية عن غارة أغارها البدو على دير سانت كاترين . يقول فى هذا المخطوط : .

« إنه فى ليلة الأحد الموافق ١١ يناير سنة ٤٠٠ ميلادية نزلت أنا وابنى من الجبل إلى كنيسة العليقة ، (وهى كنيسة صغيرة تتوسط بستانًا خلف دير سانت كاترين وقد أقامها الرهبان مكان ظهور النار لموسى ومكالمة الرب له) ، وكان الرهبان مجتمعين للصلاة وبقينا نصلى حتى الصباح ، إذ هجم علينا جماعة من البدو فقتلوا الكاهن تيودولس والراهبين بولس وحنا ، وخطفوا ابنى عبد الله أسيرًا .. وكان بيننا وبين شيخ عرب فيران عهد صلح لتأمين التجارة ، فذهبت إليه وأخبرته بما كان من غدر البدو ، وحينما عدت إلى الدير وجدت البدو قد قتلوا سبعة رهبان آخرين .

وذهبت أتحسس الأخبار عن ابنى .. والتقيت ببدوى فى الطريق أخبرنى أن ابنى فى الخلصة قرب بئر سبع ، فأخذت دليلا وجئت الخلصة فوجدت ابنى فى كنيستها فوقعت عليه أقبله وأحتضنه وأسأله عما جرى له مع البدو فقال : .

كان البدو الغزاة قد أسروا معى عبدًا أسود من عرب الفيران وسمعتهم فى الطريق يقولون إنهم سيذبحوننى أنا وهو قربانًا لصنم نجمة الصبح التى يعبدونها .. فلما نزلوا للمبيت فر العبد بجلده وبقيت وحدى أبكى الليل وأصلى لله لينقذنى من أيدى هؤلاء القساة .. وكانوا قد سكروا تلك الليلة فناموا إلى ما بعد شروق الشمس أى بعد فوات وقت الذبيحة فأخذونى إلى السوق وباعونى عبدًا لبعض التجار فافتدانى مطران الخلصة منهم وجعلنى فى هذه الكنيسة خادمًا . .

قال الراهب نيلوس : فشكرت المطران على نعمته وعدت بابنى إلى طور سيناء مسرورًا .

وكان نيلوس يفاخر اليهود بقوله : إنه بالرغم من النكبات والاضطهادات التى كانت تحل بالرهبان النصارى ، فإنهم كانوا يقضون أيامهم راضين فرحين فى نفس الصحراء الجرداء التى لم يستطع قوم إسرائيل الذين يدعون أنهم شعب الله المختار أن يعيشوا فيها يومًا واحدًا دون شكوى ودون تذمر ، وقد صاحبوا

نبيهم موسى وشهدوا معجزاته ، ومع ذلك تمردوا عليه وأرهقوه عصيانًا وكفرًا .

وما قاله الراهب نيلوس فى هذه السطور القليلة الأخيرة هو عين الحقيقة : فقد اختار رهبان النصارى هذه الأرض القفر والصحراء الجرداء ديارًا لهم منذ القرن الرابع الميلادى ، أى قبل ظهور الإسلام بقرنين من الزمان .. وتعاقبوا عليها أجيالاً وارتضوها مقرًا برغم ما فيها من شظف العيش وبرغم الأخطار التى كانوا يتعرضون لها من غزوات البدو الوثنيين من عباد النجوم . فعلوا هذا عن تطوع ودون شكوى ودون تذمر .. بل عن فرح وسرور لمجرد القرب من المكان الذى قالت لهم التوراة إن الله تجلى فيه لموسى وكلمه . .

ومازال الرهبان فى دير سانت كاترين يحتفظون فى مكتبتهم برقعة العهد والأمان التى جاءتهم من سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، وهى رقعة من الجلد موقعة من سيدنا على بن أبى طالب وأبى بكر وعثمان وعمر والعباس وطلحة وابن مسعود وزيد بن ثابت والزبير بن العوام .. ويقول النبى عليه الصلاة والسلام فى تلك الرقعة للرهبان :

« هم فى ذمتى وميثاقى وأمانى من كل مكروه ، لا يهدم لهم بيت ولا يباع لهم سكن ، ولا يدخل شىء من كنائسهم فى بناء

مسجد ، ولا تؤخذ منهم جزية ولا خراج ، ولا عشار ، ولا يلزمون بالخروج فى حرب ، ولا يجادلون إلا بالتى هى أحسن ، ويخفض لهم جناح الرحمة حيثما كانوا وحيثما حلوا . ومن يحتمى بهم يدخل فى ذمتى وفى أمانى » .

وقد بنى الرهبان مسجدًا للمسلمين إلى جوار الدير و دخل بعضهم الإسلام طوعًا و اختيارًا ، وهكذا حفظ المكان بصمات لأقدس ما جرى فى التاريخ من قصص الدين وأطهر ما جرى من حوار بين الله جل وعلا وبين عباده .

وفى رمال التيه حول الدير يرقد جسدا موسى وهارون ، وفى تلال مدين يرقد النبى شعيب .. ولا أحد يدرى أين .. ولكنك تتنفس كل هذا فى الهواء وتستشعره فى كل خطوة .. بل تكاد ترى ما تحكيه التوراة فى أسفار الخروج عن شعب إسرائيل الذين أنجاهم الله بمعجزة ، ثم كفروا به وعبدوا العجل من دونه .. وترى مكان العجل .. وتسمع كلمات الله فى القرآن لهؤلاء العتاة ..

﴿ يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم ﴾ .
(البقرة - ٥٤)

وجبل المناجاة الذى صعد عليه موسى ليتلقى عن ربه ألواح

الوصايا ، وبنو إسرائيل المعاندون الذين أرادوا أن يروا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون .

والجبل الذى نتقه الله كأنه ظلة فظنوا أنه واقع بهم ، والعهد الذى أخذه عليهم هناك ثم نقضوه .

وسنوات التيه الأربعون التى تاهوا فيها عقابًا لهم ، والذين عتوا فى السبت فلعنهم الله وقال لهم كونوا قردة خاسئين .. وموسى وفتاه ومجمع البحرين .. هل رأس محمد هى مجمع البحرين حيث يلتقى ذراعا البحر الأحمر .. ؟؟ .

وتصعد مع الشاطئ إلى شرم الشيخ ونويبع وطابا .

وتستشرف الأرض المباركة التى يدعى الصهاينة أنها ملكية أبدية لهم .. وما ملكوها تاريخيًّا إلا ثمانين عامًا فقط ، هى عمر داود وسليمان ، ثم انقسمت دولتهم بعد موت سليمان إلى مملكتين ، هما مملكة يهوذا ومملكة إسرائيل حاربت كل منهما الأخرى ، ثم غزاها سرجون الأشورى فدمرها وسواها بالأرض ، ومن بعده جاء بوختنصر البابلى فأعاد تدمير ما بنى من الهيكل ، ومن بعده جاء تيتوس فلم يبق حجرًا على حجر .. وفى كل مرة لا يجد اليهود لهم مأوى إلا مصر يفرون إليها هاربين من القتل والتشريد فتستقبلهم مفتوحة الأذرع وتستضيفهم كأعز أبنائها .

ويعيشون بمصر سادة ومواطنين من الدرجة الأولى ، وهكذا رأيناهم دائما فماذا كانت تفعل بهم باقى الأمم التى لجئوا إليها ؟ .

فى روسيا ذبحوا تذبيحًا .

وفى ألمانيا قتلوا تقتيلا .

وفى إيطاليا استؤصلت شأفتهم .

وفى أسبانيا حرقت بيوتهم ونزعت ممتلكاتهم وسجنوا وقتلوا . .

وفى إنجلترا شردوا واضطهدوا .

وفى فرنسا قطعت رقابهم .

أما فى مصر وفى ديار الإسلام الوديعة الطيبة وفى سوريا وفلسطين والمغرب وتونس والخليج فقد وجدوا الأمان وحسن الجوار والكرم حيثما حلوا .

وقد دار الزمان دورته وعادوا يردون الجميل .

وتجمعوا أشتاتًا وشراذم من جميع الأمم لينتقموا ممن .. ؟؟ ..!! منا نحن .. أهل المودة والرحمة وحسن الجوار . .

والعالم بكافة دوله وملله ونحله يعاونهم علينا بالمال والسلاح والتأييد السياسى .

إنجلترا قدمت لهم وعد بلفور .

وروسيا كانت أول من اعترفت بإسرائيل وطنًا قوميًّا لهم ، وأمريكا أخذت على عاتقها تموينهم بكل شىء من الرغيف إلى الصاروخ .

وكل واحد تصور أن بقاء إسرائيل يشكل مصلحة .. فأمريكا تتصور أن إسرائيل هى خفير الأمن فى المنطقة .. وروسيا ترى فى إسرائيل نقطة إثارة وتهييج وتهديد مفيد يدفع بكل دول المنطقة إلى طلب المعونة والسلاح منها (مبيعات روسيا من السلاح للعرب وصلت إلى أعلى معدلاتها وتفوقت على مبيعات إنجلترا وفرنسا وأمريكا مجتمعة) ، وكالعادة لا يدخل السلاح الروسى إلى بلد وحده ، بل يدخل ومعه الخبراء الروس وعملاء الغزو الفكرى ومروجو الانقلابات .

ولكن حقيقة الأمر أن إسرائيل لا تعمل لمصلحة أحد ولا تخدم أى استراتيجية غير استراتيجية بقائها واستمرارها .

وخطتها القريبة هى إثارة الفتن والحروب والخلافات فى المنطقة العربية وابتلاعها قطعة بعد قطعة .

وخطتها البعيدة هى إثارة الفتن والحروب على مستوى العالم كله ، حتى لا تبقى قوة كبرى تنازعها .. فعملاؤها وراء كل الفتن والحروب والفكر الهدام وموجات التطرف وتيارات انحلال وموضات العرى والفن العابث والكتب الداعرة ، وهم وراء السوس الفكرى الذى يدب حتى النخاع فى البنية التنظيمية للعالم . .

هكذا يقول كتابهم التلمود .

وهكذا تقول بروتوكولاتهم ..

واقرءوا التاريخ من أوله ببطء وتدبر .

انظروا معى إلى هذه الصحارى الجرد والجبال الشم فى سيناء ، وتحسسوا آثار أقدام الأنبياء . واسألوا عن قاتلى الأنبياء ومشعلى الحروب وصانعى الفتن وأفيقوا إلى مستقبلكم .. وانظروا إلى ما يراد بكم .

وبدأ العد التنازلى

فيما يلى الخطاب الحرفى الذى ألقاه الحاخام عمانويل رابينوفتش أمام المؤتمر الاستثنائى للجنة الطوارئ لحاخامى أوربا الذى عقد فى بودابست ١٢ كانون الثانى عام ١٩٥٢ .

« تحية لكم يا أبنائى .. لقد استدعيتكم إلى هذا الاجتماع الخاص لإطلاعكم على الخطوط الرئيسية لمنهاجنا الجديد ، وهو المنهاج المتعلق بالحرب المقبلة كما تعلمون والتى كان مخططنا الأصلى يقضى بإرجائها عشرين عامًا ، حتى نتمكن خلال ذلك من تدعيم مكاسبنا التى حصلنا عليها نتيجة الحرب العالمية الثانية ، ولكن ازدياد تعدادنا الذى يثير المعارضة فى بعض المناطق يجعل لزامًا علينا أن نستعمل جميع الوسائل التى فى حوزتنا لإشعال حرب عالمية ثالثة فى مدى قريب .

« يجب أن أبلغكم أن الهدف الذى مازلنا نعمل من أجله منذ ثلاثة آلاف عام قد أصبح فى متناول يدنا الآن ، وقد دنت الثمرة مما يدعونا لمضاعفة الجهد ، ومضاعفة الحذر ، وأستطيع أن أعدكم أنه لن تمر عشر سنوات حتى يأخذ شعبنا مكانه الحقيقى فى العالم ، ويصبح كل يهودى ملكًا وكل جوييم عبدًا (الجوييم هم الشعوب الأخرى من غير اليهود) .

« إنكم لا تزالون تذكرون نجاح حملاتنا الدعائية التى

أثرناها خلال الثلاثينات والتى خلفت شعورا معاديًا للأمريكيين فى ألمانيا ، وشعورا بالكراهية الشديدة للألمان عند الأمريكيين ، وتعلمون أن هذه الحملات أعطت ثمارها بقيام الحرب العالمية الثانية ، أما الآن فهناك حملة مماثلة نشنها بقوة عبر العالم فنحن نثير الخوف من الزحف الشيوعى فى أمريكا ، ونثير العداء لأمريكا عند الروس ، كما ندعم المؤسسة العسكرية فى الناحيتين ونساعد على تراكم السلاح فى الجبهتين .. وهذه الحملة ستجبر الدول الصغيرة على الاختيار بين أن تصبح حليفة لروسيا أو حليفة لأمريكا ، وسنحرص على أن يكون صوتنا فى الكونجرس الأمريكى مع سياسة التهديد المتواصل بالحرب ، (ويذكر القراء معنا أن هذا حدث بالفعل أيام جون فوستر دالاس وسياسة حافة الحرب . ويذكر القراء أن جون كيندى حينما حاول أن يخرج على هذه السياسة ويدفع بالدبلوماسية الأمريكية نحو السلام ، انتهى بأن قتل وبقيت قصة اغتياله لغزًا غامضًا) .

ونعود إلى كلمات الحاخام عمانويل رابينوفتش « إن الشعب الروسى والشعوب الآسيوية تحت سيطرتنا ، ولكننا يجب أن ننتظر حتى تصبح لنا مثل هذه السيطرة فى أمريكا .. ونحن نأمل تحقيق هدفنا باستعمال قضية العداء للسامية كما فعلنا فى ألمانيا ، كما نستعمل المجلات والصحف والكتب والإذاعة والسينما

والمسرح وجميع الفنون ووسائل الإعلام التى تحت أيدينا .. ولا خوف من ظهور الوعى المضاد عند الشباب ، فإن الشباب يمكننا إغراقه بالمخدرات والجنس واللهو والفن الداعر والأفكار المتطرفة ؛ ويمكننا تمزيقه وتشتيته فى المتاهات الخلافية ، فلا يعود يجتمع اثنان على رأى .. ثم نضرب الطبقات بعضها ببعض ونثير الفقير على الغنى والخادم على مخدومه والمرءوس على رئيسه ، ونثير الفتن بين الدول ونوسع شقة الخلاف بينها ، ونثير الخوف عند كل طرف من الآخر .

« وفى خلال سنوات قليلة سيحقق منهاجنا هذا أغراضه وتقوم الحرب العالمية الثالثة التى ستفوق فى دمارها جميع الحروب السابقة ، وستكون إسرائيل بالطبع بلدًا محايدًا حتى إذا تم تدمير وإهلاك الطرفين المتحاربين سنقوم نحن بعملية التحكيم والرقابة على بقايا أشلاء جميع الدول ، وستكون هذه الحرب معركتنا الأخيرة فى صراعنا التاريخى ضد الجوييم .

سؤال من أحد الحاخاميين الحاضرين .. « أرجو من الحاخام رابينوفتش أن يحدثنا عن مصير الأديان المختلفة بعد الحرب العالمية الثالثة » .

رابينوفتش – لن تكون هناك أديان بعد الحرب العالمية الثالثة ، كما لن يكون هناك دين ، فإن وجود الأديان ورجال

الدين خطر دائم علينا وهو أمر كفيل بالقضاء على سيادتنا المقبلة على العالم ، لأن القوة التى تبعثها الأديان فى نفوس المؤمنين بها وخاصة الإيمان بحياة أخرى بعد الموت يجعلهم يقفون فى وجهنا ، بيد أننا سنحتفظ من الأديان بالشعائر الخارجية فقط للدين اليهودى وذلك لغاية واحدة هى الحفاظ على الرباط الذى يجمع أفراد شعبنا دون أن يتزوجوا من غير سلالتهم أو أن يزوجوا بناتهم لأجنبى .

وقد نحتاج فى سبيل هدفنا النهائى إلى تكرار نفس العملية المؤلمة التى قمنا بها أيام هتلر .. أى أننا قد نسمح بوقوع بعض حوادث الاضطهاد ضد مجموعات أو أفراد من شعبنا لنحصل بذلك على الحجج الكافية التى تبرز محاكمة وقتل القادة فى أمريكا وروسيا كمجرمى حرب ، وذلك بعد أن نكون قد فرضنا شروط السلام . .

وحتى تستيقنوا من قدرتنا على السيطرة على العالم انظروا إلى اختراعات الرجل الأبيض كيف حولناها إلى سلاح خطير ضده فالراديو والمطبعة والكتاب والصحيفة أصبحت اليوم أسلحتنا نحن ضده كما أن مصانع الأسلحة الثقيلة ترسل الأسلحة إلى آسيا وأفريقيا لتحارب شعوبها الرجل الأبيض نفسه صانع هذه الأسلحة . .

ونحن مازلنا نشعل الفتن فى أفريقيا السوداء لتنقلب على نفسها وعليه .

وبهذه الرؤية فالنصر النهائى يتوهج أمام أعينكم عودوا إلى مناطقكم وباشروا العمل بجد ودون هوادة حتى يحل اليوم الذى تكشف فيه إسرائيل عن مهمتها الحقيقية وهي أن تكون النور الذى يضىء العالم .

هذا هو الخطاب الخطير والمثير للحاخام رابينوفتش .. وهو بعض ما أورده المؤلف وليم جاى كار من وثائق فى كتابه أحجار على رقعة الشطرنج ، وقد وقعت هذه الوثائق فى يده حينما كان يعمل قائدًا للأسطول الكندى ، وكانت المخابرات البحرية الكندية تابعة له (وقد قتل المؤلف بعد نشر الكتاب فى حادث غامض) .

والوثيقة تكشف عن الدور المستمر والخطير للصهيونية فى إشعال الفتن وفى تفريق العالم إلى جبهات ثم تأجيج العداوة بين هذه الجبهات .

﴿ كلما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها الله ﴾ .

(المائدة - ٦٤)

والآية القرآنية تشير صراحة إلى أن عملية إشعال الحروب مستمرة منذ بدء التاريخ .. ويقول الحاخام رابينوفتش أن هذا

أمر قديم منذ ثلاثة آلاف سنة ، ولا مانع فى سبيل ذلك من أن يشجعوا على الشىء ويشجعوا على نقيضه فى نفس الوقت فهم يساعدون الإمبريالية ، وهم فى نفس الوقت يساعدون الشيوعية (وقد أودعت مؤسسة كوهين لوب مبلغ خمسين مليوناً من الدولارات تحت تصرف لينين وتروتسكى فى بنوك السويد) ، ولا غرابة فى ذلك ولا عجب فقد رأينا فى بلادنا المليونير اليهودى هنرى كوريل ينفق أمواله على الخلايا الشيوعية فى مصر . إنهم وهم عمالقة الرأسمالية نراهم يخلقون ويساندون الجبهة الشيوعية المضادة ثم يدفعون بالجبهتين فى أتون الحرب .. فالحرب هى الغاية القصوى وليست المبادئ لأن الحرب سوف تعطيهم كل شىء .

ولنفهم هذه اللعبة نعود بذاكرة القارئ إلى معركة ووترلو كمثال لنرى ما استطاع روتشلد أن يغنمه من معركة واحدة .. فحينما رأى الدائرة تدور على نابليون ، أطلق الحمام الزاجل إلى إنجلترا بخبر كاذب أن إنجلترا انهزمت مما أدى إلى انكسار الجنيه الإسترلينى وهبوطه الحاد إلى ما قيمته شلن واحد ، ثم أسرع إلى إنجلترا ليشترى كل ما أمكن أن يجمعه من ملايين الإسترلينى بسعر التراب .. لينتظر ظهور الخبر الحقيقى وهو انتصار إنجلترا على نابليون ثم يعود ليبيع التراب الذى اشتراه بسعر الذهب . وعندما مات ناتان روتشلد عام ١٨٣٦ كان قد

سيطر على مصرف إنجلترا تماماً ، وبلغ القرض القومى الإنجليزى ٨٨٥ مليون جنيه .. ولكل قرض فوائد .. وليست تلك هى فوائد الحرب الوحيدة .. فإن الحرب تنهك جميع الأطراف الغالبة والمغلوبة وتخرب الذمم وتفسد الضمائر وتنشر الإرهاب .

وكما يقول لينين : الإرهاب هو الوسيلة المضمونة للسيطرة على الجماهير بسرعة وبشكل كامل .

وهو ما يريده أصحابنا أولا وأخيرا .. وهو ما خططوا له حينما خلقوا هذه الجبهات المتصارعة .

والمؤلف يقول بالوثائق أنهم كانوا وراء جميع الثورات والحروب .. الحرب العالمية الأولى والثانية والثورة الفرنسية وثورة أتاتورك والحرب الأهلية الأسبانية وانقلاب كرمويل فى إنجلترا .. كما يقول إنهم يستعملون المحافل الماسونية فى التغلغل إلى جميع شرائح المجتمع ، ليضعوا أيديهم على جميع المراكز الحساسة وأنهم يستعملون المال والنساء والمخدرات والسم والقتل والغدر والابتزاز والتهديد بالفضيحة ولا يتورعون عن أى وسيلة توصلهم إلى هدفهم . .

ولكن من هم . .

إن المؤلف يقول إنهم ليسوا كل اليهود .. فأكثر اليهود من العميان الذين تقودهم هذه القلة .. والمؤلف نفسه يهودى من هذه الكثرة التى كانت عمياء ثم فتح عينيه شيئًا فشيئًا على هذه المؤامرة المفزعة التى تحاك للعالم وقد دفع حياته ثمنًا لهذه المعرفة المحظورة . .

إنهم قلة من العقول الشيطانية بلغوا غاية العبقرية فى جمع المال وفى تحريكه للشر وللسيطرة ولإثارة الفتن والحروب ، وهم يهود ولكن فى حقيقة الأمر لا دين لهم ولا معبود لهم إلا نفوسهم وإلا حلمهم المجنون بأن يحكموا العالم .. وهم بضع مئات ولكنهم يضعون أيديهم على منابع الثروة وعلى منافذ السلطة وعلى منصات صنع القرار ، ولهم عملاء ومرتزقة وأتباع عميان بلا عدد يتفانون فى خدمتهم ويموتون من أجلهم .. وروتشلد هو واحد منهم وهم يعملون فى الخفاء من وراء الكواليس ولا يظهرون على المسرح .

وبينهم وبين كل حكومات الأرض خيوط غير منظورة .

وربما كان فى كلام المؤلف بعض المغالاة ، ولكن لا شك أن به الكثير من الحقائق الموثقة .

والمؤامرة حقيقة تاريخية لا شك فيها .

إن ما يفعله يهود اليوم .. كان يفعله يهود الأمس بإثارة الفتنة

بين الأوس والخزرج قبل الإسلام .. ثم بعد الإسلام تآمروا على محمد عليه الصلاة والسلام وجمعوا كل القبائل ضده فى غزوة الأحزاب ، ومن قبلها غزوات أخرى .

ولكن ما حدث أنهم فشلوا .

فشلوا بالأمس .. وفشلوا فى كثير مما خططوا له اليوم .

فشلوا بالأمس فى غزوة الأحزاب وفى غيرها .

كما أن الثورة الفرنسية فشلت وثورة كرومويل فى إنجلترا فشلت .. كما فشلت الحرب الأهلية الأسبانية التى أثاروها لقلب النظام الأسبانى إلى شيوعية .

ومع ذلك فالتآمر مستمر .. بل إنه يتسارع إلى ذروة .. والمسرح العالمى الذى احتشد بالصواريخ والأقمار الصناعية والعتاد الذرى الذى أضحى لا يحتمل عود ثقاب واحد .

وفى ظنى أنهم قد بدءوا العد التنازلى .. وأنهم بسبيلهم لإشعال فتيل الكارثة ، وأذكر تلك الفقرات من الحوار فى الحديث الذى أدلى به الثائر الشيوعى كاباليرو فى أثناء الحرب الأهلية الأسبانية وفى أثناء ما كان معتقلاً فى زنزانته .. وكان ذلك فى عام ١٩٣٦ .. كان الرجل يقول فى غرور عجيب . .

سنحصل على ٢٦٥ مقعدًا وسنغير النظام تغييرًا شاملاً .

إنك ترى من خلال القضبان حاكم أسبانيا القادم .. لقد أعلن لينين أن أسبانيا ستكون الدولة السوفيتية الثانية فى أوربا ، وستتحقق نبوءته هذه وسأكون أنا لينين الثانى الذى سيقوم بتحقيق هذه النبوءة .

يجب أن ندمر أسبانيا حتى تصبح لنا .. وفى يوم الانتقام لن نترك حجرًا على حجر .. إن أفضل الثوريين كما قال لينين هو شاب متحرر من المبادئ الأخلاقية . كان هذا فى عام ١٩٣٦ .

وقد دخلت أسبانيا فى ليل طويل من العنف . والمجازر وإراقة الدم والتعذيب وبتر الأعضاء والاغتصاب والإحراق .. ومرت عليها سنوات أشد ظلامًا مما تمر به لبنان اليوم ولكن المؤامرة فشلت وتدلى رأس كاباليرو من المشنقة .

إن التاريخ لا يجرى دائمًا بما يشتهى المتآمرون .

ألا يقول لنا الله :

﴿ إنهم يكيدون كيدًا . وأكيد كيدًا . فمهل الكافرين أمهلهم رويدا ﴾ .

(١٥ - ١٦ - ١٧ - الطارق)

﴿ ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾ .

(٣٠ - الأنفال)

﴿ ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ﴾ .
(٥٤ - آل عمران)

﴿ ومكروا مكرًا ومكرنا مكرًا وهم لا يشعرون ﴾ .
(٥٠ - النمل)

﴿ وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكرَ جميعًا ﴾ .
(٤٢ - الرعد)

فلنكن مع خير الماكرين يدًا واحدة ولا نتفرق ونعد من العدة ما استطعنا ولا نضمر الشر لأحد ولا نتطرف فى عداء إنسان .. ثم لا نبالى على أى وجه جاء الطوفان .

إنهم يجتمعون ليتآمروا فلماذا لا نجتمع لنتفق .

إن لهم مكرهم السيء . فلماذا لا يكون لنا مكرنا الخير .

إنهم يعملون الليل والنهار فلماذا ننام متكاسلين متواكلين الليل والنهار .

إن لهم عملهم .. فلماذا لا يكون لنا عملنا .

إننا أغنى الأمم بالأعداد البشرية وبكنوز الطاقة وبالثروات المعدنية وبالخبرات والمهارات ولا عذر لنا فى شىء . .

فلنع دورنا ولنبدأ العمل قبل أن تبدأ الزلزلة .

الحـرب الخفية

لم يعد أحد يتحدث عن الصراع العربى الإسرائيلى .
لقد احتجب هذا الصراع واختفى وراء صراع آخر غطى عليه ، هو الصراع العربى العربى والصراع الإسلامى الإسلامى .

اقتتل أبناء العائلة الواحدة ونسوا أن هناك عصابة تقتحم عليهم الباب وانشغلوا بخلافاتهم الشخصية ، كل واحد يحاول أن يصفى حسابه بالتصفية الجسدية للآخر .

وإسرائيل تتسلل من غرفة إلى غرفة وتضع يدها على الأرض وتبنى المستوطنات وتطرد السكان وتقتل وتشرد وتعتقل مطلقة اليد مطلقة السراح بلا حسيب أو رقيب كأنها المالك الوحيد لكل شىء .. والناس فى غفلة .

لماذا يقتتل العربى والعربى ولماذا يختلف المسلم والمسلم . لأن البعض مع روسيا ويرفع راية الاشتراكية والبعض الآخر مع أمريكا ويرفع راية الاقتصاد الحر . ولكن يا عرب روسيا نفسها وأمريكا اتفقتا وهما تنسقان معًا المنافع والمصالح والمواقف وتجلسان على موائد المفاوضات وتتبادلان الخبرات والزيارات والبعوث والوفود ، فبأى عذر يقتتل الأذناب ويختلف الأتباع إذا

كان الرءوس اصطلحوا وهل اليمن الجنوبية وليبيا أكثر ولاء للماركسية من الكرملين .

أهى نكتة .. ؟ .

وهل يضحك هؤلاء الناس على أنفسهم أم علينا .

وهل هى مبادئ بالفعل أم ذرائع يخادعون بها الشعوب ويخفون بها النوايا والخبايا ولا يريدون بها إلا أنفسهم وكراسيهم .

ولكن يا سادة البساط يسحب من تحت الكل .. وسوف تنقلب كل الكراسى وينهدم البيت إذا ظل كل واحد فى غفلته ولن يفوز العميل حتى بأجر عمالته .

ثم ماذا تخدم تلك المبادئ اليسارية التى يدعونها ، إنها لا تخدم حتى العمال والفلاحين الذين ترفع رايتهم وتحارب باسمهم . فحال العمال والفلاحين فى الدول الاشتراكية أسوأ من حالهم فى السعودية والخليج ، وأسوأ بكثير من حالهم فى بلاد مثل أمريكا وألمانيا الغربية . ومازال العامل فى تلك البلاد يحلم باليوم الذى يحصل فيه على فيزا ليهرب من الاشتراكية وينجو بنفسه وبأهله إلى أى بلد من البلاد الرجعية التى يهاجمونها فى منشوراتهم .

إن الشعارات اليسارية التى ألقيت على البلاد العربية فى

الستينات لم تروج لمصلحة أى فريق بل روجت لبث الخلاف والشقاق والفرّقة ولتفتيت الأمة شيعًا وأحزابًا يذيق بعضها بأس بعض ، ولتتسلط فئة قليلة على قواعد جماهيرية عريضة تغسل مخها كل يوم بالإعلام الموجه وبضوضاء الهتافات والمسيرات .

والوطن العربى اليوم يشهد ثمرة تلك الفتنة . والعرض مازال مستمرًّا .

ثم هذا اللغم الإسلامى الذى زرعوه فى بلادنا وأشعلوا طرفه فى ذكاء وحذر فإذا بطوائف إسلامية عديدة تخرج علينا بأسماء متباينة مختلفة ترفع راية السلفية وتحرم باسمها كل شيء وترفض جميع المؤسسات الديمقراطية بكل أشكالها ، وتطالب بإبطال العقل وبتكفير الاجتهاد وبرفض المنهج العلمى ، وتقول بأن نظامنا الاقتصادى حرام ، والفن حرام والموسيقى حرام ، والتليفزيون حرام والسينما حرام والمسرح حرام ، والرسم حرام والتصوير حرام والنحت حرام ، والخدمة فى جيش الدولة حرام ، وتقبيل العلم المصرى وثنية ، والزهور البلاستيك فى البيوت فيها شبهة شرك .. بل إن استعمال الخل حرام واستعمال الكحول فى تطهير الجروح حرام ولبس النايلون حرام ، والاشتغال بوظائف الدولة مساهمة فى الكفر ، والالتحاق بالمدارس والجامعات هو تحصيل للكفر وتعلم للكفر . فإذا سألتهم ماذا يريدون قالوا . نريد أن

نعيش كما كان يعيش النبى محمد عليه الصلاة والسلام ولا نزيد . فإذا قلت للواحد منهم : ولكنك تركب سيارة وتحمل على كتفك مدفع كلاشنكوف والنبى عليه الصلاة والسلام كان يركب البغلة وكان يقاتل بالسيف . فكيف تحل لنفسك ماتحرمه على غيرك ؟ وكيف تستعين بعلوم الكفار ومخترعات الكفار ؟ . حينئذ يصاب بالبكم والخرس وربما أسكتك برصاصة من مدفعه .

ولكن البوليس سوف يكتشف ما هو أكثر . فسوف يجد فى جيبه دولارات وفرنكات وروبلات ، وسوف يعثر فى بيته على أجهزة لاسلكية .. فمثل هذا العميل هو بعض ما زرع الكيان الصهيونى فى أرضنا من ألغام لتفتيت الإسلام من داخله . وإذا كان بعض الشباب يسير فى هذا الركب مخدوعًا ..فإن القيادات الماكرة ورءوس الفتنة التى تحفر لتهدم البيت تعلم تمامًا ماذا تفعل .

ولابد أن نجند أنفسنا ككتيبة توعية لتحارب هذه الفتنة وتقتلعها من جذورها ، وحينما يبدأ أحدهم ذلك الجدل حول الرسم والتصوير والزهور البلاستيك والنايلون والخل نقول له : أفق يا رجل . هناك من يخطط ليقتلع المئذنة كلها ، ويأخذ بيتك وأرضك ويسلبك وطنك وهويتك .. وأنت تجادل فى الخل والنايلون والبلاستيك ، وتعيش فى متاهات خلافية ، وتحاول أن تقسم الشعرة نصفين . أفق يا رجل من هذا الخبال .. إن الله جعل

الأرض كلها للمسلم مسجدًا وطهورًا حتى الأرض الأمريكية والأرض الروسية تستطيع أن تصلى عليها .. فما بال أرض مصر أرض الأديان والتوحيد منذ سبعة آلاف عام ، وأرض الألف مئذنة وأرض الأزهر .. وأنت تريد أن تهاجر منها معتقدًا أنها أرض كفر . من قال لك هذا خدعك . ومن نصحك بهذا خانك .. ودعوتك تلك هى أكبر خيانة لدينك وبلدك .

إننا نعيش حربًا خفية ونلتحم كل يوم بتلك العقبات .

وهى غير الحرب الاقتصادية المعلنة علينا من الكبار .

وغير الغزو الفكرى الذى يتسلل إلينا مع الكتب والمنشورات .

وغير الحرب الفعلية المعلنة فى الخليج وفى لبنان .

وغير الحرب السياسية الماكرة فى سراديب اللوبى الصهيونى .

ولكن الهدف واحد فى جميع تلك الحروب هو تفتيت المنطقة وضربها بعضها ببعض تمهيدًا لالتهامها . .

والإسلام غير تلك النطاعة وهو قيمة عليا فوق هذا الجدل السخيف .

والإسلام يتفاعل ويأخذ ويعطى فى كل زمان دون تعصب ودون عدوان ، ونراه حتى فى الجاهلية يأخذ بعض أخلاق الجاهلية

مثل كرم الضيافة والشهامة والنخوة والشجاعة ،ويرفض أخلاقًا أخرى مثل العصبية والتفاخر بالأنساب .

والإسلام ليس انقلابا ولا ثورة يقوم بها العسكر ، وإنما إيمان وعقيدة ومجاهدة للنفس ، وتخلق بمكارم الأخلاق وهو لا يتنكر لأعراف الناس القديمة ، وإنما يتبين الصالح منها ويشجعه كما أنه لا يرفض الجديد بل يختبره ويأخذ منه الصالح النافع ، وهو يلتقى مع الديمقراطية الغربية فى فكرة انتخاب الحاكم ، وفى فكرة مجلس الشورى ولا ينافيها إلا فى السلطة المطلقة للإجماع البرلمانى . فمثل هذا الإجماع البرلمانى فى الغرب يستطيع أن يمرر قانونًا يبيح الخمر ، أو اللواط أو البغاء .. فى حين لا يجوز للبرلمان المسلم طرح موضوع الشريعة الإلهية للمناقشة ، ولا سلطة لأى إجماع أمام حكم إلهى ، وحكمة هذا أنه لا وزن لإجماع أى عدد من العميان أمام مبصر واحد ، وليس أبصر من الله بعباده . فالحكم الإسلامى ديموقراطى ولكنها ديموقراطية ملتزمة .

والإسلام ليس ضد الفن فقد استمع النبى عليه الصلاة والسلام إلى شعر الخنساء واستحسنه كما استمع فتيان المدينة وفتياتها يغنون ويضربون بالدفوف أغنية طلع البدر علينا ، وذلك حينما أهل عليهم بطلعته مهاجرًا من مكة .

والتليفزيون والإذاعة والسينما والمسرح كلها أدوات محايدة ، وهى ليست خيرًا ولا شرًّا فى ذواتها ، وإنما هى خير أو شر بما يوضع فيها ، وهى يمكن أن تكون جامعات ومنارات علم . أما الرسم والنحت والتصوير فقد انقطعت علاقاتها بالشرك فلم تعد هناك رسوم تعبد ولا تماثيل تتخذ أصنامًا . وإنما هى لوحات فنية للزينة ولتربية الإحساس بالجمال والكلام فى حرمتها غير ذى موضوع .

والمعترضون على نظام البنوك والذين يفهمونه بأنه نظام ربوى نقول لهم عندكم البنوك الإسلامية فشجعوها بإيداعاتكم .

أما الكلام فى تحريم الخل والنايلون والزهور البلاستيك فهى بعض اللوثة العقلية السائدة ، وهى مؤشرات لحالة فقدان الوزن ولحالة الفراغ الثقافى الذى وصل إليه الشباب ، حالة التبعية العمياء لبعض القيادات الماكرة فأصبح الواحد يسمع أى كلام فيردده فى ببغاوية ودون تفكير .

وإلى هؤلاء الشباب أقول لهم . أفيقوا .. أفيقوا إلى ما يراد بكم .

الأكفان ليس لها جيوب

تعالوا معًا نقرأ بعض التراث اليهودى ولنتوقف لحظة أمام هذه الصفحات من التلمود والبروتوكولات :

- « تذكروا أن الشعب الذى لا يهلك غيره يهلك نفسه » .

- « يجب أن نخلق الجيل الذى لا يخجل من كشف عورته » . (وقد فعلوها فى السينما وقلدناهم) .

- « الجماهير عمياء فاشتروها بالمال وسوقوها كالبهائم إلى أهدافكم » .

- « سيطروا على الانتخابات ووسائل الإعلام والصحافة » (وهم قد سيطروا عليها بالمال والجنس والمرأة فى الغرب الرأسمالى ، وبالحزب والسلطة فى العالم الاشتراكى) .

- « ادفعوا الجماهير العمياء إلى الثورة وسلموهم مقاليد الحكم ليحكموا فى غوغائية وغباء » . (وقد فعلوا هذا فى الثورة الفرنسية) ، وحينئذ نأتى نحن ونعدمهم فنكون منقذين للعالم (وقد أعدموهم جميعًا من روبسبير إلى ميرابو) .

- « ارفعوا شعار الحرية واهدموا بها الأخلاق والأسرة والقومية » « ارفعوا شعار العلم واهدموا به الدين .. وارفعوا شعار الأممية واهدموا به الوطنية » .

– الذى يعرقل مؤامراتكم أوقعوه فى مآزق مالية ثم تقدموا لإنقاذه (وقد فعلها دزرائيلى مع الخديوى واستولى على القنال) ، وسارعوا إلى اغتياله (وقد فعلوها بكيندى) ، ثم اقتلوا قاتله لتدفنوا أسرارنا معه إلى الأبد « وقد فعلوها بقاتل كيندى » .

– « كل ما عدا اليهود حيوانات ناطقة سخرها الله لخدمة اليهود وحلال على اليهود غشها ونقض عهودها وأكل الربا منها وحلف الإيمان الكاذبة لها وشهادة الزور عليها » .

– أشعلوا الحروب بين الشعوب وأججوا الفتن واضربوا الدول بعضها ببعض فبهذا يصبح جميع المتحاربين فى حاجة إلى أموالنا فنفرض عليهم شروطنا » .

* * *

وهم يرون فى لاهوتهم أن الله واحد ولكنهم يحتكرونه لأنفسهم فلا عمل له إلا الحفاظ على إسرائيل وتسخير جميع الشعوب لخدمتها .

وهم لا يؤمنون بالآخرة وقد شطبوا كل ما جاء عن الآخرة فى التوراة .. والقيامة عندهم هى قيامة دولتهم فى فلسطين ، والبعث بعثها والنشر نشرها ، ويوم الحساب هو اليوم الذى يحاسبون فيه جميع الأمم يوم يعود المسيح ليكون لهم ملكًا

ويباركهم ويختارهم نوابًا له فى حكم العالم وإقامة ملكوت الله على الأرض . ويحدث هذا بعد معركة كبرى فاصلة يكون فيها فناء كل الحكومات الشيطانية (وهى الحرب العالمية الثالثة التى يترقبونها) ويسمونها فى أسفارهم واقعة هرمجدون إشارة إلى ما جاء فى سفر الرؤيا ليوحنا اللاهوتى عن هذه الحرب الخاتمة (لاحظ الشبكة الجاسوسية الأخيرة التى اكتشفت واسمها شبكة هرمجدون) .

ولا خلود للنفس البشرية عند اليهود ، بل هى تموت بموت الجسد . ونفس الإنسان هى شخصه ولا بقاء لهذه الشخصية إلا فى الدنيا .

أما خلود النفس فهم عندهم من بقايا تعاليم بابل الزانية ولا يليق بيهودى مستنير أن يؤمن به .

وهم يلقون بغلالة من الأسرار والطلاسم والكتمان والغموض على كل شىء . والكبالا والسحر وعلم الأعداد والحروف وتسخير الشياطين من علومهم التى شغفوا بها وروجوها . وكانت وسيلتهم إلى هدم الكتب السماوية هى تفسيرها بالتأويل وذلك برفض المعانى الظاهرة واختراع معان باطنة تهدم الغرض الدينى وتفسد هدفه .

ودأبوا على إثارة القضايا الخلافية لتشكيك الناس فى دينهم

مثال : هل الإنسان مسير أم مخير ؟

هل القرآن قديم أو مخلوق وحادث (الفتنة التى أثارها اليهودى لبيد بن الأعصم) ؟ لماذا خلق الله آدم من تراب ولم يخلقه من ذهب . ؟ لماذا أبواب جهنم سبعة ؟ كيف استوى الله على العرش ؟ ماذا يكون حكم الله فى أطفال الكفار الذين يموتون فى المهد . ؟ لماذا خلق الله الشر ؟ لماذا خلق الله الشيطان ؟ لماذا خلق لنا المعدة وأمرنا بالصيام ؟

ولقد خرج منهم من قال بألوهية على بن أبى طالب « عبد الله بن سبأ » ورأينا أثر التوجيه اليهودى فى الفلسفات العبثية والعدمية والمادية والوجودية .. (سارتر وفرويد وماركس وماركوز كلهم يهود) . ورأينا أثر الفكر اليهودى فى الديانة البهائية . وتلتقط العين سطورًا عديدة فى كتب البهائية تؤكد هذا الأثر . مثال : رسالة عبد البهاء هى توحيد المسلمين والنصارى واليهود وجمعهم على أصل نواميس موسى .. عمل موسى لا يساويه عمل فى التاريخ وسوف يأتى يوم لا يجد الناس كتابًا ينقذهم إلا نواميس موسى . ومجىء بهاء الله فى البهائية هو تعمير أورشليم حيث يستقبل مرفأ حيفا ألوفًا من الرجال والنساء .

وقد أبطل عبد البهاء شريعة الجهاد الإسلامية واعتبرها منسوخة ، ولماذا يريد البهائيون أن يضع المسلمون أسلحتهم .. ولمصلحة من ؟

وهل كانت الماسونية برموزها وطلاسمها إلا التراث اليهودى بعينه وماذا تعنى رموز ماسونية مثل .. الهيكل والمذبح وقدس الأقداس والعمودان (رمز موسى وهارون) . وكلمات السر .. بوعز .. ياكين .. شبولت .. حيرام .. أدونيرام .. وكلها كلمات عبرية من التوراة . وتقديم كأس الزيت فى حفل التكريس الماسونى ، وهى تشير إلى قصة مردخاى ويهوديت وتذكار صلح ملوك إسرائيل . وتناول الفطير فى الهيكل بين العمودين تذكار لعيد الفطير اليهودى ، ونثر حبوب القمح وهى الرد على الرومان الذين هدموا الهيكل ونثروا عليه الملح .

وما يردده الماسونى من التوراة : ترنمت بالندى النازل على حرمون كأنه نازل على لحية هارون . وراية قادوش « القدس » التى ترتفع فى الهيكل . ونقام نقام « الانتقام » .

* * *

وإذا فتحنا كتب التاريخ بعد انكسار الإسلام فى أسبانيا وعودة المسيحية إلى الأندلس .. رأينا اليهود يهاجرون أرتالا فرارًا من اضطهاد الفرنجة متجهين إلى المملكة العثمانية وهناك يعيشون فى تركيا تحت اسم الدونمة . ويقول عنهم إسحاق بن زفى الرئيس السابق لإسرائيل : هؤلاء الدونمة عاشوا فى تركيا بوجه ظاهرى مسلم وبحقيقة باطنة يهودية وكان منهم الوزراء والنواب

والمدرسون بالجامعة وشيوخ الفقه والتفسير والتصوف .

وكان هؤلاء الدونمة نواة حزب الاتحاد والترقى الذى صنع كمال أتاتورك ودفع به إلى الثورة الثقافية التى غيرت الوجه الإسلامى لتركيا واستبدلت بالحرف العربى الحرف اللاتينى وبالدين العلمانية . وحينما افتتح أتاتورك « حفيد مزراحى » البرلمان التركى عام ١٩٢٣ قال قولته الشهيرة : « نحن الآن فى القرن العشرين لا نستطيع أن نسير وراء كتاب تشريع يبحث عن التين والزيتون » فصفق له الدونمه ورددوا مع شاعرهم فاروق نافذ : سلمنا البلاد لأيدى أتاتورك الأمينة وتركنا الكعبة للعرب . !

تلك كانت صفحات من التاريخ غبرت وانتهت ..

ولكن هل انتهت حقًّا .. أم أن الممثلين غيروا ملابسهم وراء الكواليس وغيروا أسماءهم وبدلوا أدوارهم .. ؟ وأزيحت الستار لنشهد نفس التآمر القديم بمشاهد جديدة وشخوص جديدة وأبطال جدد أكثر مكرًا وأكثر دهاءً وأكثر تنوعًا فى السلاح والعدة والعدد ..

ومازلنا كما كنا فى قلب الصراع بل فى أتونه الفوار بل هو يتسارع بنا إلى واقعة هرمجدون وإلى الحرب الخاتمة التى يخططون لها للقضاء على جميع الأنظمة والحكومات التى أسموها

بالحكومات الشيطانية ليسلم لهم كل شيء في النهاية .

ألا يقول لهم الرب في التوراة : جميع سكان لبنان أنا أطردهم من أمام بني إسرائيل .. من البرية ولبنان من النهر الكبير نهر الفرات إلى البحر تكون تخومكم .

ثم ألا نراهم يستجيبون بكل همة وجد لهذا الرب الدموى الإمبريالى فيبنون كل يوم مستوطنة في الضفة وينهبون كل ساعة أرضًا جديدة في جنوب لبنان . ألا نراهم وراء الفن المخنث الداعر والديسكو المجنون والسينما العارية . وكيف نفسر تلك الضجة الإعلامية الهائلة خلف ولد مخنث يلبس ملابس النساء ويغنى ويصرخ ويتشنج مثل مايكل جاكسون إن لم يكن إفسادًا متعمدًا للذوق ودفعًا للشباب إلى حالة من الجنون واللوثة القردية .. ومن قبل مايكل جاكسون الكثير من الفقاعات .. تنفخ فيها الدعاية حتى تنفجر وتتلاشى فيتبعونها بفقاعة أخرى وهكذا تظل عقول الشباب معلقة بهذه الدوامات من العبث حتى تستنفذ طاقاتها .

وهل هى ظاهرة طبيعية ، أن تتحول كبريات صحف لندن إلى الجنس والعهر والفحش والفضائح والجرائم والصور العارية والمراهنات واليانصيب ، وتتنافس على إثارة الشباب بأحط الوسائل .. تلك الصحافة التى اشتهرت بالوقار والاتزان والرصانة ..

أهى ظواهر بريئة ، أم أن هناك من يمسك بخيوط هذه الأراجوزات ويلهو بها ويحاول أن يلهو بأشرف طاقات هذا العالم . وإذا كان هذا هو الفن ، فماذا كانت ملاحم هوميروس ومسرحيات سوفوكليس وكوميديات شكسبير . وإذا كانت هذه الإيقاعات القردية هى الموسيقى ، فماذا كانت سيمفونيات بيتهوفن ومعزوفات شوبان وموزار ؟

وهل جاء انحطاط الفن الذى نشهده اليوم حادثًا تلقائيًّا أم هو حصاد الفساد والإفساد والتسوس البطىء فى البنية الوجدانية للعالم ؟

مجرد سؤال :

وليفكر الواحد منكم مرتين قبل أن يركن إلى حسن الظن .

ألم نسمع بالأمس صوت الحاخام كاهان يصرخ فى إسرائيل : احرقوا المسجد الأقصى واطردوا العرب . هذا واحد منهم يعلن ما أخفوه وهو عضو بالكنيست وإن كانوا يتبرءون منه . .

إن ما أعلنه مائير كاهان هو ما أضمرته وسعت إليه محافل الماسون وشروق باريس ولندن ونيويورك وسويسرا وفروعها وأخواتها شهود يهوه وبرج المراقبة وبناى برث ومحافل البهائية فى تل أبيب وشيكاغو .. وهو صوت التلمود والبروتوكولات وهو حلم بناء الهيكل وارتفاع راية قادوش . وهذا يعنى هدم المسجد

الأقصى ومسجد الصخرة والقيامة وما حولها من كنائس وأديرة ومساجد ومدارس وأوقاف وإخلائها من كل نسمة عربية .. ليرتفع الهيكل على مساحة ٢٥ فدانًا كما يخططون .

ألم تأت اللحظة التي نعيد فيها حساباتنا وننظر إلى ما يجرى حولنا ببصيرة أكثر عمقًا ؟ إن الحوادث لا تتحرك فرادى ولا تسير منفصلة وإن بدت فى الظاهر منفصلة .. والتاريخ يفسر بعضه . وهو حلقات تسلم كل حلقة للأخرى والإفساد لم ينقطع منذ أيام يعقوب منذ أن تآمر الأخوة على أخيهم يوسف وألقوا به فى الجب ، ومنذ أن قتلوا زكريا ويوحنا ، وتآمروا على عيسى .. والعرض مستمر لم يتوقف .. ولكنه اليوم يجرى على مساحة العالم كله ويستخدم وسائل جهنمية كالتليفزيون والسينما والإذاعة والصحيفة والكتاب ، ويتآمر من وراء الكواليس ويثير الأزمات من خلال بورصة الدولار والذهب والبترول ، ويحاول تجويع الشعوب من خلال مخزون القمح ويدس السم فى الماء والهواء والخبر اليومى الذى نسمعه .

* * *

ونحن جميعًا دول هذه المنطقة مربوطون بخيط واحد وسوف نغرق معًا أو ننجو معًا ، ولن تنفع دولة ثروتها ولا دولة أخرى عسكرها إن لم يتكامل الجميع معًا فى بنيان مرصوص يشد بعضه بعضًا ..

ونحن اليوم موضوع هذا المكر العالمى وهدفه .

والذين أخلدوا إلى حضن دولة كبرى وظنوا أنهم فى أمان ، نذكرهم بالشاه الذى كان ينام آمنًا فى حضن أمريكا .. ونذكرهم بأفغانستان التى اختارت الأمان فى حضن السوفيت .

يا سادة نحن فى عالم بلا مبادئ وبلا ضمير .. لا شىء سوى مصالح تتبدل كل لحظة ، وقوى شرسة تتصارع بالمخلب والناب ، وعصابات مافيا تنهب وتقتل ، وعقول تتآمر وتخطط . وحضن أمريكا لا يصلح لأن يكون ملجأ ولا حضن السوفيت . الحصن الحصين الوحيد هو أن يختار الواحد منا الحق ويموت عليه ، فلا ملجأ من الله إلا إليه .. وهذا علم قديم .. علمه لنا الأنبياء فى هذه المنطقة المباركة من العالم . ونحن أهل هذه العلوم وأهل هذه الحكمة . ونحن أولى الناس باتباعها فلنصح من هذا الإغماء .. ولنجتمع .. ولنتحدث .. ولنتدبر .. ولنتفق .. ولنطرح عنا خلافاتنا ولننسق مواقفنا .

يا سادة ارتفعوا إلى مستوى المأساة وانظروا إلى الهوة التى تتسع تحت أقدامكم وتفغر فاهًا لتكون قبرًا لكم جميعًا ولأولادكم .

لقد أغرقونا فى حرب الخليج وفى خلافات مذهبية وشخصية لننسى ما يدبر لنا ، وفرقونا شيعًا وطوائف لينشغل كل واحد

بنفسه ، وانحدروا بالفن ليصبح لهوًا وإفسادًا وانحلالا ودخانًا للتعمية ، وغمروا سوق الشباب بالمخدرات وأشرطة الفيديو العارية .. وجعلوا من النقود لعنة لمن يملكها ، ومن الثروة فتنة مهلكة لمن يرثها .

* * *

ولو علم كل منا أن نقوده لن تنفعه ، وأن الأكفان التى سيسافر بها رحلته الأخيرة ليس لها جيوب وأنه لن يصحب إلا عمله .. لأدرك أن الجانب الأربح له هو جانب الحق ، ولاجتمعت بذلك كل الأيدى على الهدف الواحد ، ولذابت الخلافات واختفت العصبيات وفشلت المؤامرات .

ولا يظن أحدكم أنى أدق طبول الحرب وأدعو إلى القتال الفورى .. فذلك هو ما تحلم به إسرائيل .. أن نحاربها بغير عدة وبغير اتفاق وبغير كلمة موحدة ، وتلك هى خطتهم أن يوقعوا العالم فى حروب عالمية وحروب محلية وأن يلقوا به إلى فوضى شاملة .. فالفوضى هى مناخهم المفضل وهى أصلح مناخ يعملون من خلاله .. أما السلام فهو عدوهم .. فالسلام يكشف البناء الإسرائيلى المفتعل ، ويظهر التناقضات الباطنة بداخله ، ويقطع عنه شرايين المعونة ويبطل حجة الأمن الكاذبة ، ويقلب موازين التعداد داخل تل أبيب ذاتها إلى أغلبية عربية وأقلية يهودية

محاصرة بلا حرب ، ويهدم الاقتصاد الإسرائيلى الواهى القائم على التسول .. وإنما أقول إن الحل يا إخوة هى اتخاذ وضع استعداد .. وضع يقظة .. وضع انتباه من حالة الغفلة والترهل الذهنى والخمول والتبلد الذى تغط فيه المنطقة .. مائدة مستديرة نجلس عليها ونخطط لسنوات خمس تكاملا إقتصاديًّا وتكاملا عسكريًّا ونبنى قوة رادعة ترغم إسرائيل على الإنكماش داخل حدودها ونضعها أمام الاختيار الصعب بين سلام يقتلها من الداخل أو حرب تدخلها ونحن مستعدون لنقضى عليها من الخارج .

إن الصراع العربى الإسرائيلى ، يجب أن يتجاوز مرحلة الاندفاع والتهور والهتافات والحماسة العنترية الفارغة ، إلى مرحلة الصبر والتخطيط والدهاء والمكر واللعب بكفاءة بأوراق السياسة والاقتصاد ، وتحريك الرأى العام العالمى والرأى العام العربى بإعلام ذكى متطور ، وبناء القوة الذاتية كل يوم وكل لحظة ومحاصرة عناصر التخريب وفضحها .

إن العمل الجماعى الفورى والمتحضر هو الحل .. فلننهض يا إخوة قبل أن يفوت الأوان وقبل أن يأتى مستقبل يتبرأ منا ويأتى تاريخ ينكرنا جميعًا .

وعد الآخرة

مازالت سرعة انتشار الإسلام فى تلك البرهة التاريخية القصيرة أمرًا محيرًا يستعصى على التفسير .. تلك الأعداد القليلة التى خرجت من شبه الجزيرة العربية لتفتح مليون كيلو متر مربع ولتنتشر شرقًا وغربًا وشمالا وجنوبًا من الأطلسى إلى الفارسى ومن الهند إلى القسطنطينية ومن أسبانيا إلى أبواب أوربا لا لتغزو وتنهب وإنما لتقدم دينًا وعلمًا وحضارة .

وهذه القلاع التى سقطت بأقل تكلفة .. فعدد القتلى فى مجموع الغزوات الإسلامية أقل من قتلى حوادث المرور فى القارة الأمريكية .. وأقل من قتلى بيروت فى سنة واحدة من الحرب الأهلية .

وهذا العدد القليل من القتلى كان أكبر شاهد على أن الإسلام لم يدخل بالسيف ، بل دخل بالترحيب والقبول من البلاد المفتوحة ، وأنه لم يدخل عنوة ، بل إن الشعوب هى التى فتحت له أبوابها .

هذه الاستجابة اعتبرها الله حجة له ولنبيه فقال عز من قائل :

﴿ والذين يحاجون فى الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد ﴾ .

(١٦ الشورى)

بعد هذه الاستجابة لا توجد حجة لمنكر .. فهى استجابة تتحدى المنطق .

كيف يؤتى كل هذا لرجل أمى فى قبيلة معزولة عن الدنيا على أطراف الصحراء ، وكيف يخرج كل هذا النور من أعماق مطبقة من الجهالة والظلمة .. وكيف يخرج كل هذا النظام من فوضى .. وكيف ينتشر كتاب فى هذه الرقعة الهائلة وفى هذا الزمن القصير بدون وسائل إعلام .. ينتشر على القدمين وعلى ظهور الخيل وعلى النوق والجمال .

إننا أمام حدث تاريخى هو فى ذاته آية وكرامة لصاحبه ، بمثل ما نقول عن القرآن إنه معجز ، وبمثل ما نقول عن الذات المحمدية إنها متفردة فى كمالاتها .

ولم يسع ذلك الكاتب الأمريكى بعد أربعة عشر قرنًا من الزمان إلا أن يعترف فيجعل محمدًا عليه الصلاة والسلام على رأس المائة الذين غيروا التاريخ فالحقيقة كانت أوضح من أن يمارى فيها أحد .

ويمضى الزمان يرفع ويخفض ويمحو ويثبت .

ونرى إمبراطوريات تصبح أثرًا بعد عين ، وحضارات يطمسها التراب ونرى اليهودية تتقوقع على نفسها فى الجيتو

اليهودى ، ونرى بابوية القرون الوسطى التى كانت تتوج الملوك وتزلزل العروش تتقلص وتنكمش لتصبح رقعة صغيرة فى روما اسمها الفاتيكان .. ونرى زوبعة الماركسية تهب على العالم ثم تعود فتنكسر موجة بعد موجة على الشاطئ الأوربى .. ونرى فقاقيع الوجودية والعبثية والعدمية تطفو على سطح التاريخ الفوار ثم تنفجر وتتلاشى .

ونرى أفكارًا تتآكل ومذاهب عاتية تولد وتموت .. بينما الإسلام العجيب المعجز فى نمو وتفاعل وانتشار بخاصيات ذاتية فيه ، ودونما جهد من دعاة يفتدونه بأرواحهم كما هو الحال فى الكثير من مبشرى المسيحية .

ونرى الفكرة الإسلامية تنمو وتعبر البحر لتلتقطها عقول أجنبية مثل بوكاى وجارودى وتعتنقها وتنشرها تطوعًا واختيارًا .. ونرى دوامة الفكر الإسلامى تتسع وتتسع برغم تخلف المسلمين وجهلهم وفقرهم وتدهورهم الأخلاقي والإيمانى .

وتعود كلمات القرآن ترن فى أذنى :

﴿ والذين يحاجون فى الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد ﴾ .

(١٦ الشورى)

بعد هذه الاستجابة أى حجة هناك لأى منكر .

إن الله تبارك وتعالي مازال يقدم لنا شواهد من تاريخنا المعاصر على صدق نبيه وصدق قرآنه .. وظاهرة الإعجاز مازالت دائبة الفعل فى التاريخ .

وما نرى حولنا هى ظاهرة متعالية ربانية لا علاقة لها بجهد أهلها المسلمين المتخلفين فى كل شىء .

إن المطابع فى البلاد الإسلامية لم تصنع هذا الفعل الحى للفكرة الإسلامية ولم تسهم فيه .. وكذلك المفكرون المسلمون ذوو الانتشار المحدود .. وإنما الفكرة هى التى تنمو ذاتيًّا بما أودع الله فيها من حيوية .

وتلك آية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

والقرآن لا يكف عن العطاء ، والاختلاف فيه لا يزيده إلا ثراءً وخصوبة ، والدس له لا يزيد جوهره إلا جلاءً وتألقًا .

والخمينى لا يجد إلا صيحة الإسلام ليجمع بها الملايين يحاربون له .

والشيوعيون الجدد يلبسون الجلاليب ويطلقون اللحى ويحملون رايات لا إله إلا الله ليلتمسوا لهم موضع قدم .

وكل مغامر لا يجد له مدخلا إلا أن يصانع الإسلام بصورة أو بأخرى ليظفر بأذن تستمع إليه .. وكأنما أصبحت كلمة الإسلام مجرد الكلمة هى النبع الوحيد الذى يفيض بالإيجابية والحياة على كل عمل .

ثم الله الكريم المنان نراه يجود على تلك الأمة الإسلامية المتخلفة ، فيعطيها مفاتيح الطاقة وكنوز الثروة بلا حساب ، ثم يقيم تصارعًا وتوازنًا بين قوى الشر على الشاطئ الرأسمالى . وعلى الشاطئ الشيوعى ، ليحمى تلك الأمة الضعيفة المتهالكة من أن ينفرد بها أحد العملاقين .. ثم يجلو معادن المسلمين بالبلاء ويستنهض همتهم بما يحقنه فى أجسادهم المترهلة من لقاح فيروس الصهيونية .. لعل تلك الأجساد المترهلة تصحو وتسترد مناعتها وتشفى مما هى فيه من وهن .. ثم نراه يثير وعى العالم المثقف على قيمة الإسلام . كما نراه يفتح ترسانات السلاح للعرب على جميع الجهات يغترفون منها كيف يشاءون ..

نرى هذا يجرى أمامنا وكأنما هناك أيد خفية من وراء ستار تعد المسرح التاريخى لشىء .

نعم ما أرى إلا أن أيدى الرحمة تسوقنا سوقًا إلى مشيئة شاءتها وكتاب قضت به منذ الأزل .. ألم يقل ربنا تبارك وتعالى فى كتابه :

﴿ وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوًّا كبيرًا . فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادًا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدًا مفعولا . ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرًا . إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرًا ﴾ .

(الإسراء ٤ - ٥ - ٦ - ٧)

ترى هل جاء وعد الآخرة .

وهل ما نراه أمامنا هو إعداد المسرح التاريخى لهذا الحدث العظيم .

وهل نحن جيل الوعد .

أم أنهم أبناؤنا .

أم أحفادنا الآتون من بعدهم .

الله أعلم .. ولكنى لا أظن ذلك الوعد إلا قريبا ..

حرب خرتيت وخرتيت

بُحت الأصوات وتعبت الحناجر من النداء وتكرار النداء للعرب ، ليجتمعوا ويتفقوا ويلتقوا على كلمة سواء وعلى موقف موحد ، ويضعوا اليد فى اليد والقلب مع القلب ويواجهوا أزمتهم بالأسلوب الحضارى الواجب .

والوقت يمضى ولا حياة لمن تنادى ..

ويتغير الشخوص على المسرح ولا أمل .

وتتبدل القيادات ولا جديد .

أتعرفون لماذا استحال الاتفاق .. ؟!

لأن كل واحد عجز عن الخروج من دائرة نفسه .

لا إحساس وطنى ولا شعور قومى ولا انتهاء للجماعة ، وإنما شخصانية صرفة ، كل واحد لا يرى إلا لمدى ملليمتر خارج شخصه .

وهكذا انتحرت الدول داخل خلافات شخصية وعجز الدين الواحد واللغة الواحدة والمصالح الواحدة والأزمة المشتركة أن تجمع الناس على كلمة سواء لأن كل واحد تلفع بنفسه وتوشح بشخصه واستعصم بكبريائه وتشبث برأيه ، ولم يعد يفكر إلا فى كيف يمد بقاءه فى الكرسى وكيف يتخلص من خصومه ؟

وأصبحت السياسة هي أن يسوس كل واحد عمره وليس أن يسوس بلده .

ونسى الكل في نشوة هذه الشخصانية وفي جاه الحكم ، أن الأرض تحتهم بدأت تهتز وأن هناك خسفًا أرضيًّا وشيكًا ، وأن الزلازل ستبتلع الكراسي ومن عليها ، وأنه لا نجاة إلا بخطة عامة يشترك فيها الكل وينسى فيها كل واحد نفسه ، لأن الكارثة أصبحت أكبر من نفسي ونفسك ، وأكبر من طاقة أي نفس واحدة أو دولة واحدة .

هذا هو حجم الكارثة المقبلة .

وهذا هو حجم التصرف المطلوب .

وهذا الشخصانية والطائفية والقبلية ، هي ولا شك بقايا تخلف وهي رواسب من إنسان الغابة ومن ساكن الكهف ومن زمن العشيرة . وهذه آفة البعض وليس الكل ..

لكن أيضًا للإنصاف والعدل يجب ألا ننسى أن أعداء هذه الأمة من دول كبرى من شرق وغرب قد حرصوا دائمًا على توسيع هذه الثغرات وإشعال هذه الخلافات .

ما فعله الإنجليز في مصر مع الملك والقصر والأحزاب

والأقباط والمسلمين تراث جرائد وكلام معروف ومعاد يستطيع أن يقرأه من يريد .

وما فعله الغزو الفكرى الماركسي فى الستينات حينما جاءنا بالقنبلة الاشتراكية التى قسمتنا إلى يمين ويسار وتقدمية ورجعية وبروليتاريا وبورجوازية . وضربت الأخوة فى البيت الواحد والعائلة الواحدة ، وأشعلت الأحقاد والضغائن بين طبقات المجتمع ، كل هذا تاريخ قريب لا يخفى على أحد .

ومازال الشرخ ممتدًا بطول الوطن العربى ، ومازلنا نسمع الإذاعات تتقاذف التهم عبر يمين الشرخ ويساره ، ومازالت اللغة إياها والإكليشيهات القديمة البالية عن الإمبريالية والكادحين والشغيلة إلخ .

ولكن الماركسية كفكر انتهت وتعرت وظهرت سوءاتها .

وجوهرة التاج فى هذا الفكر وهى ملكية الدولة لوسائل الإنتاج وهى ما يعرف باسم القطاع العام والتأميم نرى عوراته فى الشارع المصرى وفى كل أتوبيس وفى كل مؤسسة وفى كل مصنع مغلق لعدم وجود قطع الغيار .

لقد بارت البضاعة وظهر الغش وانصرف الزبون .

ولم تعد الأغانى الاشتراكية تجد آذانًا تسمعها ..

ولم يبق للأعداء الكبار إلا أن يتسللوا إلينا بشعار من شعاراتنا فركبوا التيار الخوميني ليلقوا علينا بقنبلة إسلامية .

هي قنبلة إسلامية في ظاهرها ، لكنها في حقيقتها تيار عنصري دموي لا يعرف سوى التنكيل والإرهاب والاعتقال والإعدام وسفك الدم وتكفير الخصوم ، إنه الثأر الفارسي ملفع بعباءة لا إله إلا الله لينتقم من أهل لا إله إلا الله .

ولم يكن غريبًا أن يدعو الخوميني لثورته لعدة سنوات في حضانة فرنسا وأن تسكت عنه أمريكا وهو ينمو ويتعاظم . وأن يلجأ الشاه المطرود إلى أمريكا يلوذ بها فتنكره ، فهكذا أعلنت البابوية السياسية الغربية عن بركتها ورضاها بالتيار الجديد .

ورفع الخوميني راية الثورة الشاملة ، ودعا إلى الفتح الإسلامي للبلاد الإسلامية وإلى إسقاط العروش وتحطيم النظم ، واستجاب التطرف في كل مكان وتحول الإسلام إلى راية تفرقة وتنابذ وانقسم إلى شيعة وسنة ودروز وخوارج وتيار سلفي وتيار عصري وتيار محافظ وتيار مجدد والتهبت الساحة كلها من الأطلسي إلى الفارسي .

واستدرجت العراق إلى قتال النظام الإيراني في حرب لا يبدو لها انتهاء ، وفتح الأعداء الكبار الماكرون ترسانة أسلحتهم للجانبين حتى لا ينتصر أحد على أحد وحتى يظل الجحيم

مشتعلا ، وتظل الحرب تبلع والعرب تدفع ، والنتيجة خراب للكل واستنزاف للموارد ومزيد من التخلف ومزيد من الفرقة ، وفشلت الوساطات وأزمن الداء ، ومطلوب أن يجتمع الكل ويتحد الكل ويتفق الكل على نزع الفتيل ، ومطلوب أن تصفو النوايا وأن يسود العقل .

ولكن مرة أخرى تقف الزعامات الشخصانية حائلا ويغلب الكبرياء الشخصي على المصلحة ، ويغلب حب النفس على حب الحق ، وتعود الحلقة المفرغة من جديد تخرج بنا من متاهة لتلقى بنا فى متاهة وتتغلب السفاهة على العقل والحماقة على الحكمة .

وحولنا عالم من العماليق يتربص بنا الدوائر وبحر فوار يموج بالعنف .

إن منطق الخرتيت أصبح هو شعار العصر .

على يسارنا خرتيت روسى وعلى يميننا خرتيت أمريكى .

وما بين الخرتيت الروسى والخرتيت الأمريكى لا نستطيع نحن العالم الثالث أن ننافس الاثنين فى الأنياب والمخالب فأنياب الروس ذرية ومخالب الأمريكان نووية ، وقد وضع أحدهما قدمه على القمر وأقام الآخر منصات فضائية لحرب النجوم ، ونحن العالم الثالث مازلنا نحبو فى سنة أولى حضانة فى عصر

التكنولوجيا ونحن نلهث لنوفر بالكاد اللقمة للمواطن ، وحروبنا ونزاعاتنا الداخلية بين بعضنا البعض لا تترك لنا لحظة لالتقاط الأنفاس . ولو دخلنا فى اللعبة الذرية وفى سوق السلاح المتطور فلن نكون أكثر من أطفال تدوسها الأرجل فى الزحام .

إنه تنافس فى غير مكانه ، وسباق فى غير أوانه ، وتقليد فى غير ميدانه .

ولكننا نستطيع لو تكتلنا وتوحدنا فى جبهة رفض أن نؤلف قوة لا يستهان بها . قوة لن يقل عددها عن ألفى مليون فى مساحة استراتيجية تشمل منابع الطاقة ومجمع الثروات والكنوز فى هذا العالم .

لو قالت هذه الأعداد الهائلة من البشر لا .. للقوة .. ولا للسيطرة .. ولا للدمار .. ولا للانتحار .. فإن صيحاتها المدوية سوف توقظ الشعوب النائمة على الجور والقهر فى روسيا وأمريكا .

وسوف تكسب صوتاً بدأ يتحرك بالفعل فى أوربا . وسوف تغير اتجاه الرياح .. إن غاندى أخرج الإنجليز من القارة الهندية بهذا الرفض المهذب وبهذا الإجماع المهيب .. على كلمة . لا .

إننا نستطيع أن نؤلف معسكر الحكمة فى مواجهة معسكر

العنف وهذا دورنا .. وهذا تراثنا الدينى . وهذه أصالتنا التى يمكن أن نتميز بها ونتفوق فيها ولا نقلد بها أحدًا .

ولكننا يجب أن نكون حكماء أولا لنستطيع أن نعلم غيرنا الحكمة .. نكون حكماء بالتغلب على رعوناتنا وخلافاتنا .

إن الحل سواء لمشكلاتنا وتخلفنا الإقليمى أو لمشكلة المواجهة العالمية وصراع الفناء الذى يهدد كوكبنا .. الحل فى الحالين هو أن نتجمع ونتفق ونطرح خلافاتنا وننسى أشخاصنا ونعلو على أنانيتنا ، ونلتقى على موقف واحد وفكر واحد وسياسة واحدة .. نحن العرب ونحن الشرق الأوسط .. ونحن دول عدم الانحياز .. ونحن العالم الثالث .

وروسيا وأمريكا تعرف مدى ثقل هذه المجموعة ومدى خطورتها إذا اجتمعت على كلمة أو التقت على رأى .. ولهذا فهى تحاول دائمًا أن تفرقها وتشعل بينها الحروب وتجرها جرًا إلى سباق التسلح . وإلى ترسانة الحديد الخردة .. وهى لا تجد مانعًا فى سبيل هذا التآمر أن تشترى زعماءها أو ترشو شعوبها أو تضلل حركاتها الوطنية لتجعل منها عربة سبنسة ملحقة بقطارها المجنون .

فهل نعرف هذا .. ؟

وهل نعيه جيدًا شعوبًا وقيادات ؟

وإذا كنا نعيه فلماذا نسكت عليه ؟

ولماذا لا نبدأ بالعمل أفرادًا وجماعات طوائف وهيئات بالرأى بالكلمة بالموقف بالنداء من فوق كل المنابر .. بتسخيف كل تجمع خاطئ مثل تجمع إخواننا الماركسيين فى حزب التجمع الزائف أو التجمع الدينى تحت رايات التطرف أو التجمعات الإقليمية والشعوبية .. تحت رايات الأفكار الضالة المشبوهة أو التجمع العنصرى فى إسرائيل .

وهل إسرائيل سوى الولاية الأمريكية السابعة والأربعين .. الولاية المدللة التى تؤيدها روسيا وتباركها دول الغرب وتجعل منها كلب حراسة على المنطقة .

ألم تكن روسيا أول دولة اعترفت بإسرائيل .

ألم يكن زعيم روسيًا هو الذى كف يد جمال عبد الناصر عن البدء بالهجوم فى حرب ١٩٦٧ ومن قبله الزعيم الأمريكى على نفس الخط ؟

وبعد الهزيمة ألم ترفض الترسانة الروسية استعواض السلاح ؟

تلك هى أوراق اللعبة .

وأحداث التاريخ وشريط المواقف يكشف لنا النيات كل يوم ولسنا فى حاجة إلى مزيد .

فلنكف عن الاستجداء من الشرق والغرب ولنكف عن الجرى وراء اليسار واليمين ولنبحث عن هويتنا ونكون أنفسنا ونقول كلمتنا ولنجلس بكل أصالتنا وتاريخنا على مائدة الحوادث .

إن اجتماعنا فى صوت واحد سوف يكون هو العامل الحاسم الذى سوف يغير كل شىء .

ترى هل تفرز الأزمة غاندى آخر ليقود المسيرة ؟

ترى هل نحن فى حاجة إلى زعامة روحية تعطى المثال والقدوة ؟

لا أحب أن أعلق العمل على مشجب الانتظار ولا أحب أن أهرب إلى الحلم .

بل أقول نعمل من اليوم ومن الآن ومن اللحظة فحتى هذه القوة الروحية لن تولد من فراغ . بل سوف تولد منا بالكدح فى سبيلها والعمل من أجلها كل فى موقعه يحاول أن يضرب المثال بتحقيق الوفاق فى أسرته وفى عشيرته وفى جيرانه وفى مجتمعه الصغير .. ويحاول أن يكسر قوقعة الأنا ويحاول أن يخرج من

سجن الشخصانية ليكون قوة حب وقوة تجميع .

ومن الشوق إلى العدل سوف يولد العدل ..

ومن العطش إلى الماء والسعى بين الصفا والمروة بحثاً عنه سوف ينبثق الماء كما انبثق بين يدى هاجر ..

ولنذكر دائماً أننا نعيش فى كون مسخر لنا يستجيب لمعول الإخلاص وأن جميع عوامل المعجزة فينا فى داخلنا .

وإذا كنا لا نرى الزعماء يتفقون على رأى ولا يلتقون على كلمة فلأننا نحن لا يلتقى الواحد منا وأخوه على كلمة .

ألا يوقع الزعماء فى لبنان على الورقة بالموافقة أثر كل اجتماع ثم يعود فينطلق الرصاص من كل جانب .

إن الزعماء منا .. إنهم ليسوا طينة سماوية .. إنهم من طينتنا ونحن من طينتهم .

ألم يقل الله إنه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ؟

فلنبدأ من الآن وعلى الفور فى أن يغير كل منا ما بنفسه .

ولن يطول الانتظار ..

المشى على الألغام

أى مشتغل بالكتابة فى بلادنا ، يعلم كم كانت حرفة القلم فى الستينات والسبعينات من هذا القرن ، أشبه بالملاحة المخيفة فى بحار الأخطار ما بين مد وجزر ، ارتفع فيه الموج وابتلع الكثير .. مابين مد ماركسى وفكر مادى أغرق المنطقة العربية فى غزوة شرسة ، أحدثت الإنقلابات والثورات وغيرت التراكيب الاجتماعية ، وغمرت السوق الثقافية بموجات من الفن اليسارى وفتحت بوابة البحار الدافئة للأسلحة السوفيتية والخبراء السوفيت والسياسة السوفيتية ، التى دخلت بدعوى إنقاذنا من العدوان والإسرائيلى والمعاونة على تحرير فلسطين (وهى الدعوى التى اتضح كذبها وزيفها فى هزيمة ١٩٦٧ ومابعدها) .

وما بين جزر سياسى صاحبه جزر دينى سلفى متطرف جذب السفينة الثقافية بعنف إلى أقصى اليمين ، وأحدث انقلابات مضادة أدت إلى طرد الخبراء السوفيت وإخراج روسيا من اللعبة وتعديل المسار الاقتصادى ورفع راية الانفتاح والحرية الفردية ، والاتجاه إلى أمريكا بدعوى أنها تملك جميع أوراق اللعبة ، وأنها تملك الضغط على إسرائيل لحل المشكلة الفلسطينية (وهى الدعوى التى اتضح كذبها فى العجز الأمريكى أمام الغزو

الإسرائيلى للبنان وعودة فرقة المارينز وإقلاع الأسطول السادس راجعًا إلى بلاده) .

وما بين هذا المد اليسارى والجزر اليميني يحاول اليوم النظام المصرى توجيه الدفة إلى خطة الاعتدال بحثا عن الهوية المصرية والهوية العربية ، وخروجًا من دوامات الاستقطاب المهلك فى الفلك الأمريكى أو الفلك الروسى بفكر مستقل غير منحاز .. وهو الطريق الصعب الذى يحتاج إلى حضور ذاتى كامل وصحوة مصرية وعربية كاملة ، تستطيع أن تتعامل مع المتغيرات العصرية ومع التآمر السوفيتى والأمريكى المواصل لابتلاع المنطقة .

وفى خلال هذه الملاحة الصعبة التى تمزق فيها الشراع أكثر من مرة ، واضطربت فيها الموازين الثقافية وتلاطمت التيارات المادية الماركسية العارمة مع التيارات الإسلامية العنيفة ، واختلطت الرؤية على الرائى لكثرة الضباب .. ارتفعت الصيحات تهاجم الثقافة والمثقفين وتتباكى على تخلف النقد والإبداع .. ونسى أصحاب هذه الصيحات الظالمة .. أنها كانت معجزة أن يحتفظ الكاتب برأسه فى هذا الطوفان المتلاطم .. مجرد أن يحتفظ برأسه كان معجزة .. فى أمواج تحطمت فيها الدفة والمجاديف وهلكت سياسات واختفت زعامات وغرقت رءوس

لعماليق جبابرة كانوا يصنعون الأقدار ابتلعهم الموج وأصبحوا أثرًا بعد عين .

* * *

وإنى أدعو هؤلاء الباكين المتباكين إلى نظرة منصفة ، إلى مايولد حولهم اليوم من مخاض الاضطراب والفوضى والآلام ..

إن حياة ديمقراطية نيابية جديدة تولد بمصر .. حياة برلمانية حقيقية تولد من تيارات حزبية حقيقية وزعماء يأتون بالانتخاب وليس بقائمة لا ونعم .

ومئات المشاريع وراءها ألوف الملايين من الدولارات تشق الأرض لتبنى الكبارى والأنفاق ، وترصف الطرق وتقيم المصانع ، وتبنى المدن السكنية وتزرع الصحارى وتصلح المرافق .

والبترول يخرج من عشرات الآبار الجديدة .

والغاز يدخل إلى البيوت فى أنابيب .

واليورانيوم يكتشف فى أكبر منجم بأفريقيا فى جنوب أسوان .

والتصنيع الحربى يلهث بخطى مسرعة مستفيدًا بكل الخبرات المتاحة ليلحق بالعصر .

يحدث كل هذا والأخطار لاتزال تحدق بنا من شرق وغرب وشمال وجنوب ، إسرائيل على البوابة الشرقية ، وليبيا على البوابة الغربية ، والكتلة الشيوعية فى القرن الأفريقى جنوبًا بالإضافة إلى كل مايأتينا من صنوف العبث والإنحلال من أوربا شمالا .

والكل يتحالف على تفكيك البنية الاجتماعية ، وتحريك الطائفية وإثارة الخلاف وشق الصف ، وتحريض الطبقات وضرب الفئات بعضها ببعض ، وإثارة البلبلة والجدل وتمزيق الخريطة العربية بأكثر مما هى ممزقة ، حتى لايلتقى الشامى على الحلبى ولا التونسى على المغربى .

على كل هذه الأشواك تخطو القدم المصرية ، وفى كل خطوة تتربص بها حفرة ، وفى هذا البحر المضبب المعتم المليء بالدوامات تبحر السفينة الثقافية ، وفى كل شبر تتربص بها دوامة .

* * *

من هذه الظلمة المطبقة من الفتن يولد النور ويخرج الجنين من بطن المعاناة ، كيف لاترى عيونهم هذه الولادة العسرة وكيف لايرون تباشير الفجر .

ومن لايرى كل هذا ندعوه إلى نظرة أوسع وأعرض باتساع العالم كله ، ليرى أكثر من أربعين منطقة مشتعلة تؤجج ضرامها مؤامرات روسيا وأمريكا .. فى بولندة والعراق وإيران وأفغانستان ونيكاراجوا والسلفادور وفيتنام وكمبوديا والهند وباكستان وأثيوبيا وأريتريا والصومال والسودان ونيجيريا وتشاد وأنجولا وقبرص ولبنان وأسبانيا والصحراء المغربية واليمن .. إلخ . إلخ . إلخ .

وكلما خبت النيران هنا وهناك عادوا فألقوا فيها بالأسلحة والذخائر وزادوها سعيرًا وبدلا من أن يتواجه العملاقان ليتبادلا الضربات القاتلة يحاول كل منهما أن يخرج بالحرب ويفرّ بتجارة الموت إلى خارج حدوده ، ليضرب أصدقاء الطرف الآخر ولينال من عملائه .. ودائما دول العالم الثالث النامية الفقيرة المتخلفة هى الحلبة لتجربة كل سلاح جديد .. وفى المستقبل القريب سوف يجربون فينا القنابل النووية الصغيرة .. ولم لا مادام الذى سوف يموت نحن لاهم .؟

فى هذا العصر الرهيب نعيش .. ويخطئ من يظن أن قارب النجاة هو اشتراكية سوفيتية أو مايدور فى فلكها من مبادئ ويخطئ أيضا من يتصور أن النجاة فى انحياز أمريكى .. ويخطئ من ينتظر منا تبعية ثقافية إلى أى من المعسكرين .. إنما النجاة فى أن نكشف هويتنا ونتعرف على شخصيتها ونولد من داخل

حضارتنا الخاصة فيولد فينا العربي المسلم المستنير القادر على التفاعل مع معطيات العصر ..

إن السفينة الثقافية سوف تأخذ مسارًا إسلاميًّا ذا بعد غنى متطور .. وقد بدأت بالفعل تتحسس طريقها عبر التراث إلى هذه الخلجان الأصيلة التى تنبع من السماء ومن آفاق الوحى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وأظن أن العين المنصفة لاتخطئ هذه التحولات وتلك بعض تباشير الفجر الذى ولد من ليل المحنة ، وأولى بوادر العثور على النفس فى زمان كاد يضيع فيه كل شىء .. ولا بدائل أخرى .

لابديل أعلى فى درجة التوثيق من نفسك ذاتها . وحينما يصبح كل شىء محل شك تبقى النفس نبعا للفطرة السليمة الصادقة التى لاتكذب . ولهذا أقول : برغم كل شىء فنحن نتقدم ونتعلم .. وماضاع من عمرنا لم يضع سدى . وأقول للباكين على الثقافة .. إن الثقافة تكسب كل يوم أرضًا جديدة وتكسب أكثر ماتكسب انتماءها وأرضها ووطنها ونسبها الشريف الرفيع .

الخـروج

كانت الجنة التى وعدت بها الماركسية وبشر بها الرفاق وتغنى بها لينين .. إن السعداء الذين طبقوا الشيوعية وأقاموا ديكتاتورية البروليتاريا وخلعوا الملكيات وأمموا الصناعات وأسلموا مقاليدهم للحزب ، سوف ينعمون بالوفرة والرخاء ، وسوف يتدفق بين أيديهم الإنتاج فيأخذ كل واحد حسب حاجته ، ويعمل كل واحد حسب طاقته ، وتجرى أنهار الخمر والعسل وتمتلىء بحيرات الحليب وترتفع جبال الزبد ، ويشبع الجائع وينعم المحتاج .. ولكن ماجرى أمامنا على خريطة التاريخ كان العكس .. وبعد خمسين سنة من الكدح الشيوعى فى روسيا السوفيتية نقرأ اليوم عن كارثة القمح وتدهور المحاصيل فى المزارع التعاونية وحاجة روسيا إلى القمح الأمريكى .. وفى بولندة يعلن الخراب الاقتصادى عن نفسه وترتفع لافتات الإضراب وتمد الحكومة أيديها تطلب المعونة من الغرب .. وفى ألمانيا الشرقية يحاول هونيكر أن يقفز على سور برلين إلى ألمانيا الغربية طمعا فى معونة تخفف عنه خناق الأزمة الاقتصادية .. وفى أثيوبيا الماركسية يموت مائة ألف بالمجاعة بسبب الجفاف ويعجز النظام عن مواجهة الكارثة فيصرخ طالبًا المعونة من المجموعة الأوربية .. وفى فرنسا يلقى ميتران الشيوعى القديم بردائه الماركسى ويتخلى عن قناعاته القديمة .. ويخرج وزراءه

الشيوعيين الأربعة ويأتى بالمليونير البورجوازى فابيوس على رأس وزارته ويقود سفينة الحكم إلى بحار اليمين ، وفى الصين يحاكمون أبطال الثورة الثقافية ويلقون بهم فى السجون ويعلن النظام عهدًا جديدًا من الانفتاح .. وفى إنجلترا تحطم مسز تاتشر جميع الأطر الاشتراكية وتقود السياسة إلى يمين متطرف وتواجه إضرابات عمال الفحم بصلابة لا تلين .

لقد انهزم الفكر اليسارى فى جميع معاقله وخلع الرفاق شاراتهم الحمراء ، وسمعنا عن زعماء شيوعيين مثل جارودى خلعوا الملة الشيوعية كلها ونبذوها ، وقبل جارودى مفكرون كبار أمثال ريتشارد رايت وستيفن سبندر ولويس فيشر وإجنازيو سيلونى وأندريه جيد وأرثر كسلر ، كانوا ماركسيين ثم نبذوا الماركسية وانقلبوا ضدها ، بل سمعنا أصواتًا من الصين ذاتها تهاجم ماركس والماركسية .

وهكذا رأينا غروب الفكر الماركسى ورأينا أفول المذهب الذى زعم أنه سوف يغير التاريخ فغيره التاريخ .. ولم تعد له أرجل يمشى عليها ولا قدرة ذاتية ينتشر بها .. ولم تبق له وسيلة انتشار سوى القوة العسكرية السافرة .

وهكذا انتهى الفكر الشيوعى إلى استعمار غاشم واحتلال دموى كذلك الذى نراه فى أفغانستان .

وفى الكتاب الذى صدر فى فرنسا أخيرًا للمؤلف جيل بيرو عن نشأة المنظمات الشيوعية فى مصر ، يروى المؤلف وقائع مفصلة عن الطليعة التقدمية التى قامت على أكتافها الحركة الشيوعية المصرية .. ويذكر هذه الطليعة بالاسم ..

فمن كانوا ..؟؟

إنهم الآتى أسماؤهم ..

هنرى كوربيل . روزيت كوربيل .. مارسيل إسرائيل .. هليل شفارنز .. ديدار روسانوا .. إيميه سيتون .. ريمون اسطنبولى .. جوزيف هازان .. شحاته هارون .. جوماتالون .. جويس بلو .. جاكوب كومب .. ريمون أغيون .

وكلهم يهود .

تلك حقائق حفظتها ذمة التاريخ وما كان خالد محيى الدين وفؤاد مرسى وإسماعيل صبرى الذين حكموا مصر أيام جمال عبد الناصر ، إلا تلاميذ هؤلاء اليهود وتربيتهم .

وبعض الدول العربية اعتبرت هذا التاريخ ذريعة وحجة ومبررًا للارتماء فى حضن أمريكا ، باعتبار أن النظام الأمريكى هو النظام الأمثل وهو الأمل فى الخلاص من الشيوعة وهو الجنة الأخرى على الضفة اليمنى من الأرض .

وقد نسى هؤلاء أن موقف النظامين السوفيتى والأمريكى لايختلف كثيراً بالنسبة لهذه البقعة المباركة التى اسمها الشرق الأوسط ، والتى نعيش فيها فاليهود الذين تكتلوا وراء نشر المانفستو الشيوعى وترويجه نجدهم بلحمهم ودمهم يتكتلون فى دهاليز الكونجرس الأمريكى باسم اللوبى الصهيونى .. ونرى وعد بلفور الذى ولد فى إنجلترا تتبناه أمريكا ثم نجد روسيا أول المعترفين بإسرائيل .. ونرى فرنسا ثالث ثلاثة فى الغزوة الشرسة التى شنتها إنجلترا وإسرائيل فى حرب السويس .. ونسمع ريجان يصرخ بأعلى صوته أن استراتيجية أمريكا هى استراتيجية إسرائيل ونراه يقدم الضمانات لتظل ترسانة السلاح فى إسرائيل أقوى من أسلحة الدول العربية مجتمعة .. وذلك هو تاريخ المعسكر الآخر الذى تصوره البعض جنة وملاذاً وملجأً .

والحقيقة أن المنطقة نهب للمؤامرات من الجانبين نقرأ فى صحف أمريكا وإنجلترا تحريضاً للمسيحى على المسلم فى بلادنا ، ونقرأ فى المنشورات الشيوعية تحريضاً للفقير على الغنى ، ونرى مخابرات الجانبين تمول حركات التطرف الدينى لهدم الدين من داخله وإشعال الحرب الأهلية فى المنطقة .

ألا تمول جميع الأطراف النظام الإيرانى ضد العراق ، ثم نرى هذه الأطراف جميعها تمول النظام العراقى ضد إيران .

إن شواهد الواقع تدين النظامين .. والاستقطاب للمعسكر الشرقى هو سقوط فى الفخ بمثل مايكون الاستقطاب للمعسكر الغربى .. ولاحل سوى الخروج من فخ الاستقطاب لأى من النظامين وكسر طوق التبعية والفكاك من ذل الاحتياج .

والسؤال .. وماذا بعد ..

البعض يقول نغلق الباب على أنفسنا وماعندنا من ثروات وكنوز فى المنطقة العربية يكفل لنا اكتفاءً ذاتيًا ، واتحادنا يغنينا عن الروسى والأمريكى والإنجليزى والفرنسى والألمانى ، وعقيدتنا فيها الغنى عن كل الفلسفات والثقافات .

وأقول لهؤلاء أن العزلة مستحيلة والانغلاق على النفس مهلك ، وإن العالم مترابط والسياسة السوية هى شبكة من العلاقات ، وإن حياة الإسلام فى التحامه مع الواقع وتغييره .. وإن عقيدتنا ذاتها عقيدة ديناميكية وثراؤها الحقيقى فى قدرتها على الأخذ والعطاء .

وأقول ليس معنى الخروج من الاستقطاب هو الدخول فى قوقعتنا الذاتية .. فضلا على أن الوحدة العربية والتكامل الاقتصادى مازالا فى نطاق الأحلام ، ولا يمكن أن نبنى عليهما استراتيجية أو ورقة عمل فورى .

بل أطالب بفتح الجسور على حضارة جديدة فتية صاعدة مثل

اليابان والصين ، واتفق مع الدكتور أنور عبد الملك فى دعوته إلى إقامة الحوار مع هذا الجانب من العالم .

وسوف نجد هناك حاجتنا من التكنولوجيا المتطورة ، وسوف نجد سياسة أكثر حيادًا بالنسبة لقضايانا ، وسوف نؤسس علاقات مفيدة .

ولا أعنى بذلك أى تبعية أو انضواء .. بل مجرد فتح الجسور وإقامة الحوار وتربية الوشائج وتنمية المصالح ، بمثل ماأقمنا الحوار وفتحنا الجسور مع ميتران وتاتشر وهلموت كول ، وباقى المجموعة الأوربية ، وبمثل مانفعل مع دول عدم الانحياز ..

لابد من فتح النوافذ وتهوية الغرفة التى تجمع فيها دخان المؤامرات وضباب الفتن والتى يريدون أن يجعلوا منها مقبرة لأجيالنا القادمة .

إن محور اليابان والصين الذى سوف ينمو فى السنوات القادمة ليس محورًا إيديولوجيًّا ، فهو يجمع بين النقيضين الرأسمالية والشيوعية . وإنما هو محور حضارى ينمو فى الجانب الآخر من العالم ليرد على محور روسيا وأمريكا .. وفتح الجسور مع هذا المحور سوف يخفف من القبضة الروسية الأمريكية ، وسوف يجعل كل طرف يعيد النظر فى مواقفه ويعيد ترتيب أوراقه .

إن الدول لاتعرف أى لغة سوى لغة المصالح ، ولن تجد أى

جانب يفتح لك ذراعيه إلا خوفًا أو طمعًا فيك أو تحسبًا لمنافع محتملة فى مستقبل قريب أو بعيد .

ولاغنى لليابان عن بترول العرب وإيران ، كما أنه لاغنى لها عن أسواق الشرق الأوسط وأسواق الصين .. ونحن بدورنا لاغنى لنا عن مصدر للتكنولوجيا المتطورة ، ولاغنى لنا عن الثقل السياسى لمجموعة اليابان والصين ودول الشرق الأقصى .

والمنطقة العربية بحكم موقعها المتوسط بين ثلاث قارات ، وبحكم ثرواتها وبحكم حضارتها سوف تصبح الجوهرة اليتيمة التى يطلبها الكل ويخطب ودها الكل ويتقاتل عليها الكل ويتآمر عليها الكل .

والتعامل بفن وبحياد مع جميع الجبهات وفتح النوافذ على جميع الجيران وحوار المصلحة مع جميع مراكز القوة الحاضرة والمستقبلة .. ومحور الصين واليابان سوف يكون أخطرها جميعًا هو استراتيجيتنا الجديدة .

لقد انتهت مرحلة الاستقطاب الروسى والأمريكى واستنفدت أغراضها وأصبحت عبئًا ومعوقًا للحركة . وتغيرت لوحة الشطرنج مما يستدعى منهجاً جديدًا للتعامل مع المستقبل وعلينا أن نتحرك بسرعة ، فالحوادث تتلاحق وأعداؤنا يعلمون هذا وهم يدفعون بمؤامراتهم ليكسبوا الوقت .

لماذا يتحاربون

أعلن ديمترى أوستينوف وزير الدفاع السوفيتى أن موسكو قد زادت من عدد الغواصات الروسية قبالة الساحل الأمريكى ، وأن بإمكانها الآن توجيه ضربات نووية إلى أى مدينة أمريكية فى ظرف عشر دقائق . وردت أمريكا بإنزال أكبر غواصة نووية ضاربة إلى الأطلنطى . وجاوب الروس بإرسال رواد جدد ومعدات جديدة إلى المنصة الفضائية ساليوت ، ورد ريجان بالبدء فى برنامج حرب الكواكب وبإرسال المكوك الأمريكى فى جولات استطلاع ومناورات سرية مريبة فى الفضاء .. ونصبت روسيا صواريخ إكس إكس فى أوربا الشرقية فوضعت أمريكا صواريخ كروز وبرشينج فى مواجهتها .

ووقف ستة آلاف مليون مبهوتين يتساءلون .. ماذا يريد هؤلاء الناس .. ولماذا يقتل بعضهم البعض .. إن أمريكا وحدها قارة واسعة الثراء تعيش على اكتفاء ذاتى ، والمدن الأمريكية تكاد تنفجر من الرخاء .. وروسيا هى الأخرى قارة فيها جميع الكنوز والموارد وهى تكفى نفسها وتكفى عشر دول أخرى .. وأوربا هى الثالثة قارة تستمتع بأنهار من السمن والعسل والويسكى .. وزبالة باريس ولندن وبرلين التى تلقى كل يوم مع المخلفات والدشت والعادم تكفى لإطعام أفريقيا .

لماذا يتحارب هؤلاء الناس وليس فيهم المحروم ولا الجائع ولاالعريان ؟

ونسى الذين يتساءلون أن إنجلترا أطلقت قواتها الجوية والبحرية والبرية لحرب جزر فوكلاند ولم تكن بحاجة إلى جزر فوكلاند .. وإنما هى العظمة والكبرياء .. أن يقال أن الأمبراطورية البريطانية انحنت أمام دولة صغيرة مثل الأرجنتين .. كيف ..؟

وهل كان هتلر فى حاجة إلى الهجوم على روسيا .. لقد حلت ألمانيا جميع مشاكلها بعد أيام من الحرب باستيلائها على أوربا كلها بمواردها وثرواتها . وكان من الممكن الوصول إلى صلح يرضى به كل الأطراف تسترد به ألمانيا ما اغتصبه منها الحلفاء فى الحرب العالمية الأولى .

ولكنها العظمة والكبرياء والغرور وخرافة السيادة الألمانية على كافة أجناس العالم التى نفخ بها هتلر فى أوداج الشعب ، وقاد بها ملايين الجنود إلى حتوفهم ، ومن قبل هتلر نابليون وغليوم وبسمارك وهانيبال وجنكيز خان وهولاكو وغيرهم ممن طواهم التاريخ .

واليوم وفى هذا العقد الأخير من القرن العشرين وفى عصر العلم والعقل ، نسمع فى إسرائيل وفى قلب وطننا العربى من يقف

وينادى بخرافة الجنس اليهودى المختار الموعود من الله بامتلاك الأرض من النيل إلى الفرات والسيادة على العالم . ثم نرى أمريكا وإنجلترا وأوربا تساند هذا الغرور بالمال والسلاح . لقد التقى الغرور والصلف الصهيونى بالمصالح الأمريكية والأوربية فى كسر موجة المد الناهض فى هذا الجزء المتخلف من العالم ليبقى تحت سيطرة الغرب وليظل سوقًا يرتع فيها الكبار .

بل إننا نحارب بعضنا بعضًا بنفس المنطق .. الكتائب والمارون والدروز والشيعة والسنة . يتحاربون فى لبنان بنفس المنطق .. كل فرقة تريد لنفسها السيادة والسيطرة .

ولم يكن فى لبنان أزمة طعام ولا أزمة طاقة .. وكانت بيروت متخمة بالرخاء وكانت جميع الأموال العربية الهاربة تصب فى لبنان حينما انفجرت بيروت فجأة بحرب أهلية تنازعًا على السلطة .

وماذا وراء الخمينى غير هذا الطموح المجنون للعظمة والسلطة والتوسع .. فهل من الإسلام أن تفتح بلادًا مسلمة ؟ وهل تحارب إيران عن فقر وقد كانت أغنى دول المنطقة بالنفط والمعادن والكنوز والثروة البشرية ؟.. وهل كانت هذه الحرب إلا روح الإمبراطورية الساسانية وقد ولدت من جديد وانتفضت لتثأر مما فعل بها المسلمون الأوائل ..؟

وهل نرى أمامنا على المسرح إلا الكبرياء الوثنية والعظمة المجوسية متنكرة تحت راية لا إله إلا الله ؟

وماذا بين البعث العراقى والبعث السورى إلا الصراع على السيادة والسلطة ..؟

بل ماذا بين بعض الملوك والرؤساء والزعامات العربية إلا الكبرياء الشخصى وحرص البعض على أن تكون له السيادة .

وينسى كل هؤلاء أحيانًا عن كفر وأحيانًا عن غفلة أن الكبرياء لله وأن العظمة والجبروت والهيمنة من صفاته وحده .. وأنه يقول لنبيه : (لست عليهم بمصيطر) .. ما أنت عليهم بجبار .

ويقول فى حديثه القدسى : « الكبرياء ردائى والعظمة إزارى ومن نازعنى فيهما قصمته ولا أبالى » .

ولم يكن التاريخ إلا قاصمًا لظهور الجبارين لم يعف منهم أحدًا .

والقصة ما زالت مستمرة ولا أحد يعتبر .

والمسيرات والمظاهرات تتحرك فى كل مكان من العالم رافعة لافتات السلام .

والشعوب تستصرخ حكامها لوقف هذا التسابق النووى

المخيف ولا سميع ولامجيب .. وكل طرف يقول إنه يتسلح ليردع الطرف الآخر ، ويقول إن الردع هو الوسيلة الوحيدة للحصول على السلام .. الغواصة أمام الغواصة والصاروخ أمام الصاروخ .

القوة هى التى تجعل خصمك يتردد . أما الضعف فيغريه بالمجازفة .. وتتراكم ترسانة السلاح وتعلو على الجانبين . ويقف العالم يتفرج وهو يرتجف .. والمستقبل يصبح مرهوناً بخطأ أو سوء فهم أو خوف أو غدر أو تهور أو حماقة وكلها طباع فى النفس الإنسانية ولطالما أشعلت من قبل الحروب .

والحكماء والعقلاء يطالبون بأن يخلع كل طرف فتيل القنبلة .

ولكن من يخلع الأول ..

وكل طرف يقول : سوء الظن من حسن الفطن ..

والإنسان يمتحن فى صفاته وملكاته وفى خيره وفى شره ..

والامتحان هذه المرة نهائى ليس بعده ملحق ولا استئناف ولا فرصة ثانية والقائم على كل دولة معذور فمن يدريه أنه لو خلع فتيل القنبلة أن الخصم على الطرف الآخر سوف يفعل المثل وأنه لن يستغل الفرصة .

ولا يوجد زعيم عنده الشجاعة ليقامر بمستقبل شعبه بلا ضمان .

والحلقة المفرغة من الخوف وسوء الظن والطمع وحب السيادة والسلطة والكبر والعظمة والجبروت تفعل فعلها فتضيق الحلقة شيئًا فشيئًا .

والعالم يسير إلى دمار محتوم لا نجاة منه إلا بتدخل ولطف إلهى فمجموع الشر أكثر من مجموع الخير وضعف النفوس غالب على قوتها ولايخرج إلا بمعجزة وكل جماعة تنتظر لها مخلصًا .

اليهود ينتظرون قدوم الملك .

والنصارى ينتظرون نزول المسيح

والمسلمون يقولون بمجيء المهدى والبعض يقول مع النصارى بنزول المسيح .

والبوذيون يؤمنون بالرحمة المهداة « البوداساتفا » الذى يأتى بكل الأسماء والصور .

والماديون لايؤمن الواحد منهم إلا بنفسه وبذراعه وبالمدفع والقنبلة ﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ماترك على ظهرها من دابة ﴾ .

واسألوه اللطف ..

زواج بالإكراه وطلاق من الفاتيكان

حينما كان الفكر الماركسى فى شبابه وكامل عافيته وفتوته ، كان لايخفى حقيقته وكان يجاهر بالإلحاد ويتفاخر به ويدعو إليه ، على أنه تقدمية وثورة على الخرافة والأفيون ، وكان لينين يجاهر بأن الله فكرة وهمية ابتدعتها البورجوازية المستغلة ، لخداع العمال البسطاء وتخديرهم بالأحلام الكاذبة عن الآخرة والجنة وأنهار اللبن وأنهار العسل .

وفى الأربعينات من هذا القرن كان دعاة الشيوعية الملحدون ينظر إليهم على أنهم طليعة مستنيرة وأبطال وشهداء وصفوة واعية فاهمة .. وكانت بداية المعركة بين الدين والفكر الماركسى تجرى لحساب الماركسية .

ولكن الأمور اختلفت بعد ذلك وتغيرت الموازين حينما قامت الحرب واكتسحت القوات النازية روسيا ، ورأى ستالين الفلاح الروسى يرفض أن يحارب ويستشهد تحت رأيه مبدأ يسلبه الجنة والخلود والثواب الأبدى .. وتوالت الهزائم على الجيش السوفيتى وتراجع حتى أصبح ظهره إلى الحائط ، وحينذاك لم يجد ستالين بدًّا من أن يعيد فتح الكنائس التى خربها ويعيد فتح المساجد ، وصدرت الأوامر لجميع الخلايا الشيوعية بأن تكف عن الجدل فى مسألة الدين وتكتفى بأن تجيب من يسأل عن الله ومكانه فى

الماركسية .. بأن هذه قضية غير مطروحة .. وكانت تلك هى الجملة المتفق عليها للهروب من المأزق .

ثم عاد ستالين فتراجع إلى الوراء أكثر وبدأ يسعى إلى المصالحة مع الجبهة الدينية ، فأرسل وفدًا من الحجاج إلى الكعبة . ثم استمر التراجع بعد موت ستالين وصدرت الأوامر لجميع الخلايا بشطب جميع العبارات المعادية للدين من المنشورات وإنكار ماجاء على لسان ستالين ولينين وماركس وإنجلز من أفكار إلحادية .

وحينما اشتد ساعد التيار الدينى وتعاظم مده فى العالم كله وانكسرت الماركسية بالمقابل وتعرت ثغراتها وصاحبها الفقر والقهر والظلم والاستبداد المروع فى كل بلد دخلته ، ورأى العالم رؤية عيان أنها لم تقدم بديلا عن الظلم القديم إلا ظلمًا أشد ضراوة وشمولا .. حينذاك ظهرت طائفة جديدة من الفلاسفة المزيفين حاولوا تخليق ماركسية جديدة على أنقاض الماركسية الكلاسيكية التى تصدعت وتداعت ، وحاول هؤلاء تهجين البذرة الماركسية الملحدة بأفكار إسلامية ومسيحية إيمانية ، وباشروا نوعًا من المزاوجة بين الفكر الدينى والفكر الماركسى لترويج دعوتهم بين السذج والبسطاء .

وظهرت الماركسية الإسلامية فى إيران وفى نفس الوقت ظهر

لاهوت التحرير الكاثوليكى فى أمريكا اللاتينية .. وكلاهما يدعو إلى الفكرة الماركسية تحت برقع من العبارات الدينية .

ولم يكن ماحدث زواجًا .. بل سفاحًا .. ولم يكن المولود طبيعيًّا سويًّا بل مسخًا شائها يكذب على أبيه ماركس ويخون أمه مريم ولايحمل أى ملامح من الاثنين .

وأصبح الماركسيون أكثرهم خجلا وحياء من شيوعيتهم فغيروا اسمها إلى الاشتراكية والتمسوا بين رجال الدين من يكتب لهم عن اشتراكية محمد واشتراكية المسيح ، وبعد انكسار المد الاشتراكى خلعوا كلمة الاشتراكية واكتفوا بكلمة يسار .. يسار إسلامى ويسار مسيحى .. ويومها كتبت عن أكذوبة اليسار الإسلامى وقلت أن الإسلام لايعرف إلا سبيلا واحدًا وأنه لايوجد على يمين الحق ولا على يساره إلا الباطل ، وأن القول بأن أبا بكر كان يمينيًّا وأن عمر بن الخطاب كان يساريًّا مثل القول بأن أبا بكر كان زملكاويًّا وأن عمر كان أهلويًّا ، وأن الماركسية التى فقدت أرضها ومواطىء أقدامها تحاول أن تتسلل إلينا فى دثار أبى بكر وعباءة عمر وعمامة أبى ذر .

واليوم يتحرك الفاتيكان ليصدر وثيقة بالغة الأهمية فى ١١ ألف كلمة يدين فيها بشدة تزييف الماركسيين للفكر الكاثوليكى فيما يسمى بلاهوت التحرير الذى يخلط بين المفهوم الكاثوليكى

للفقراء ومفهوم البروليتاريا فى الماركسية ، ويحول المعنى المسيحى إلى قتال وتطاحن وحقد طبقى وبذلك يعلن الطلاق النهائى بين المذهبين .

وتقول الوثيقة إن هذا التزييف أدى إلى فوضى فكرية هائلة لها حجم الكارثة ، وإن المنشورات الدعائيةالتى ينشرها الماركسيون فى أمريكا اللاتينية وأفريقيا والهند والولايات المتحدة والأجزاء المسيحية من آسيا ، هى إفساد فكرى وتضليل .

وناشد البابا يوحنا بولس الثانى كل مسيحى مخلص ألا ينخدع بهذه الدعايات المضللة وأن يعلم أن الإلحاد ، فى الماركسية بمثابة القلب من البدن وأن المادية الجدلية تنكر الروح والخلود والبعث وتنكر الله وتنكر الغيب على إطلاقه .. وأنه لايمكن ترقيع هذه الأفكار بأى عبارات دينية .

وتذكر الوثيقة كل مسيحى بأن الثورات الماركسية لم تؤد إلى إقامة أى نظام عادل ، ولم ترفع عن الناس ظلمًا إلا لتضع ظلمًا أشد منه وأنها حولت الصراع المحدود إلى صراع أوسع وأشمل والبؤس العارض إلى بؤس مقيم .

وبهذا ألقى البابا القفاز فى وجه الماركسية .. ولم يبق للماركسيين إلا عقد الزواج مع الدين بالإكراه وتحت تهديد المدافع الرشاشة .. وهو مايفعلونه فى أفغانستان .

ولابد لنا أن نضيف أن عقد الزواج الكائن بين الإسلام والمسيحية وبين الرأسمالية المستغلة هو الآخر وبالمثل عقد سفاح وأن الاستغلال والاحتكار والاستئثار بخيرات الأرض لا شرعية له فى أى دين .. وأنه لايجوز وضع بطاقة الإسلام أو المسيحية على أى نوع من أنواع الظلم .. وأن الإسلام فكر شمولى قائم بذاته .. وأن المسلم لايمكن أن يكون مسلمًا رأسماليًّا مستغلا أو ماركسيًّا ملحدًا ولايمكن أن يكون إلا مسلمًا .. وأن تماسيح الرأسمالية وحيتانها لايقلون مادية عن طواغيت الشيوعية ، وأن كليهما يعبد العجل الذهب أحدهما ساجد عند رأسه والآخر ساجد عند ذيله .

لقد صدق المسيح عليه الصلاة والسلام حينما قال .. مملكتى ليست فى هذا العالم وصدق محمد عليه الصلاة والسلام حينما قال : يعود الإسلام غريبًا كما بدأ غريبًا فطوبى للغرباء .. فالمسلم الحق فى هذا الزمان بات غريبًا عن هذا العالم غربة المسيح عن ملكوته ، كل الفارق أن المسلم لايرى أنه يجوز له أن يعتزل ويترهب ويغلق بابه دون العالم ، وإنما عليه أن ينفتح على العالم ويلتحم بما فيه من خير وشر ويأخذ منه ويعطيه ولا يرفض الدنيا رفضًا جزافيًّا ، وإنما يقف منها ومن مذاهبها موقفًا إنتقائيًّا ويعيش آمراً بالمعروف ناهيًا عن المنكر مرابطًا على الحق حتى الموت .

الإسلام لايعطى المسلم خلو طرف لأى عذر .. وإنما يفرض الجهاد على الكل .. كل واحد على قدر طاقته .. إن لم يكن بيده فبلسانه أو بقلبه . فالموكول إليهم أمور السلطة يجاهدون بأيديهم والصفوة المؤهلة من الدعاة تجاهد بالقلم وباللسان .. والكافة تجاهد بقلوبها فتقف وراء أهل الحق وتؤيد الصفوة الخيرة .

ولايخلو المسلم أن يكون مجاهدًا فى جميع الأحوال .. فهو مجاهد للأعداء فى الحرب ومجاهد لنفسه فى السلم .. وهو مجاهد للباطل طول الوقت .

وما أكثر مايدعو إلى الجهاد فى هذا العصر المبرقع المتلون ، حيث لايكاد يهدأ للرجل الصالح بال أو يغمض له جفن ، وحيث تدق الخفايا وتستتر البلايا ، فتترصد القدم فى كل خطوة حفرة وتتعدد المزالق وتتكاثر الفتن ، كقطع الليل المظلم فلا تكاد ترى العين إلا بنور من الله .

متى يكون للعدل شوكة ؟

الإرهاب بسط سلطانه على البر والبحر والجو ، وأصبحت له يد طولى تصل إلى الأبرياء الآمنين فى بيوتهم ، والإجرام يقتل وينهب ويخطف ويطالب بشرعية لكل ما يعمل .

كيف أصبح للباطل كل هذه الشوكة ؟

خاطفو الطائرة الكويتية الأخيرة يقتلون الركاب العزل ، ثم يطالبون بحقوق ويقولون إن لهم قضية .. أى قضية .. وكيف تقطع رأس العدل ثم تطالب بالعدل .. فى أى عالم نحن ؟ !

ستة عشر طنًّا من المخدرات يروجها ويهربها إلى مصر أصحاب شركات وتجار كبار . وقد تسمع بعد شهور أنهم خرجوا بكفالات .. لعدم كفاية الأدلة ..

أين أحكام الإعدام لمروجى المخدرات وتجار الموت .

لماذا لم ينفذ حكم واحد منها ؟

وما المصلحة فى تقليم أظفار العدالة وفى إسكات صوت الحق وفى استئناس القانون وترويضه وتذليله حتى يغدو مطية لكل ماكر أثيم ؟

لماذا لا تكون للعدل شوكة كما أن للباطل كل هذه الشوكة ؟

لقد وقفت مسز تاتشر تطالب بعودة عقوبة الإعدام فى إنجلترا لمواجهة طوفان الجريمة ، وفى الصين أعدموا المئات من قطاع الطرق ثم أعلنوا أن معدلات الجريمة انخفضت بعد هذا الإجراء الحازم إلى النصف ، وفى السودان قطعوا الأيدى التى تسرق .

والله يعلمنا فى كتابه الكريم أن لنا فى القصاص حياة ، وأنه بدون القصاص لن تكون لنا حياة ، وأن العقاب ليس مجرد تنكيل ، بل هو إجراء وقائى ضرورى ليستطيع الودعاء الطيبون أن يعيشوا .. وأنه بدون العقاب تنقلب الأوضاع فلا تكون هناك حياة إلا لمن يحمل مدفعاً رشاشاً يهدد به الناس .

وهنا حكمة الشريعة .

وهنا الجواب على من يقول عن قطع الأيدى إنه إراقة دم .. فنقول بل هو توفير دماء لضحايا بلا عدد كان سيقتلهم هذا القاطع للطريق .

وفى مناخ العنف الموجود تصبح الملاينة كارثة لأنها تطمع كل مجرم فى أن يفعل فعلته ويهرب .

وفى أمريكا يستطيع أى شاب أن يطلق الرصاص على الرئيس الأمريكى ، ثم يعتذر له المحامى بأنه مصاب بعقدة نفسية ويطلب له البراءة .

وهم يظنون أنها ديمقراطية وعدالة ورحمة ، وينسون أن الضحية أولى بالرحمة من الجانى .. وينسون أن هذا النوع من الرحمة بالقتلة لن يثمر إلا القسوة والغلظة والتشجيع على الإجرام .

ألم نشاهد أخيراً فى أمريكا مظاهرات يقوم بها الشواذ جنسيًّا يطلبون شرعية زواج الرجل من الرجل ويطلبون من الكنائس والمحاكم قبول توثيق هذا النوع من الزواج الذى هو إفساد كامل شامل للفطرة وخروج على الطبيعة السوية التى برأها الله فقد خلق الله الغريزة الجنسية للتكاثر والعمار ، وأرادوها هم لذة بلا هدف .. ثم أرادوا فرض باطلهم على الناس .. فهم لم يكتفوا بالإثم .. ثم بعلانية الإثم .. ثم بشيوع الإثم .. بل أرادوا أن تكون لهذا الإثم عزة ومنعة وحصانة قانونية .

ويقولون هذه هى الديمقراطية .. وهذا هو التقدم .. وتلك هى الحرية .

وهل من الحرية أن نقتل الحرية .

وهل من الهدى أن يكون للعميان حكم وأن يقودوا المبصرين فى الطرقات ؟

أم هو فساد وإفساد وقلب للحقائق ومكر ، خطط له ذوو

العقول الشيطانية وبيتوا له بليل ، فجعلوا من كل رجل مخنث مؤنث مطرباً عالميًّا وسلطوا عليه الأضواء ودلسوا به على الناس وروجوه للسذج والبسطاء بموجات مبهرة من الإعلانات ، وضربوه مثلا لكل من يحلم بالشهرة والملايين ولكل من يريد أن يصل بسرعة .

ثم الموجات وراء الموجات من موضات العرى والفساتين الفاضحة التى تخرج من بيوت أزياء كبرى ينظر إليها الناس بإعجاب واحترام ، وتستلهم منها المرأة فى كل مكان أفانين الجمال والأناقة .

ثم مسلسلات العنف والدم والاغتصاب ومناظر الشهوة ومشاهد الإثارة وذلك الحوار الذى يسوقه مؤلفون ماكرون بنعومة على ألسنة الأبطال فيشككون به المستمع دون أن يدرى فى نفسه وفى قيمه ودينه وفى كل شىء .

هذه الجرع الذكية المتكررة من الفساد والإفساد التى يتجرعها الشباب فتسرى فى دمه وتفعل به فعل السم البطىء فتغير من كيماوية تفكيره وسلوكه دون أن يعلم .

من يفعل بنا هذا ؟

وكيف نقلده فى فنوننا ونتخذ منه مثالا وقدوة فنسهم فى هلاكنا دون أن نشعر ؟!

وكيف يفلت هذا الإجرام من العقاب ؟

وكيف تنام العدالة عن واجبها ؟!

وكيف يغفل القانونيون عن هذه الثغرات الكثيرة فى القانون التى يهرب منها هؤلاء ؟

ألا يرى معى الحكماء أن هذا العصر فى حاجة إلى إعادة تقنين .. وأننا نواجه شكليات جديدة ومواصفات جديدة ونوعيات جديدة ماكرة من الإجرام والإفساد ، تحتاج إلى بنود قانونية لمواجهتها وضوابط جديدة لضبطها ؟

ألا يرون معى أن العدل بات بلا شوكة وبلا صوت وبلا أظافر ، وأن الشر أصبح مطلق السراح حر التجول يحمل رخصة سلاح ومشروعية لفعل ما يشاء ، مرة باسم الحرية ... ومرة باسم التقدم .. ومرة باسم الوطنية .. ومرة باسم الشعب .. ومرة باسم منظمة كذا وكذا .

ثم أن ما يجرى على مسرح الجريمة ، يجرى ما هو أخطر منه وراء الكواليس حيث تخطط قلة من العقول الشيطانية ، لتدفع بالانحرافات إلى الذروة فى كل مجال .. فى السياسة والاقتصاد والأخلاق والعقيدة والفكر والسلوك ، لتحول الكثرة الإنسانية إلى قطيع من البهم يسهل ركوبه وقيادته إلى أى هدف .. ونظرة

سريعة إلى حال الكتاب والصحيفة والفيلم والتمثيلية والبرنامج التليفزيونى حتى الإعلانات ، نراها جميعاً قد خالطها التلوث فلم تعد مادة ثقافية بريئة ومفيدة .. بل أضحت برامج موجهة أحياناً فى علانية وأحياناً أكثر فى خفاء إلى ما تريده تلك القلة الشيطانية من إنحلال عام وتفسخ جموعى ، حيث نراها تضع فى فم الطفل والصبى والمراهق ما تريد هى أن يقوله ، وتخلق حالات من الاستهواء العام الذى يتحرك فيه الناس مسحورين وقد غسلت أدمغتهم بهذه الجرعات المتكررة من الكلام الفارغ ، وأصبح كل منهم يتكلم وكأنه بوق يردد ما تملى عليه هذه الأجهزة ليل نهار .

وافتحوا أجهزة الراديو على جميع المحطات وعلى جميع البلاد واستمعوا وأنصتوا ، وحركوا المؤشر على جميع قنوات التليفزيون وقلبوا صفحات المجلات ، وتوقفوا أمام بوتيكات الديسكو وتصفحوا أخبار الصفحة الأولى واقرءوا سير نجوم الشاشة الصغيرة والكبيرة فى أوربا وأمريكا ، وكيف تلمع النجوم هناك وكيف تنفجر وتتلاشى ، والعقول التى تصنع هذه الحمى والأموال التى تنفق لتظل الجماهير فى دوامة مستمرة من الانشغال الفارغ .

هذه الضوضاء الإعلامية المتواصلة التى تصنع لوناً من الهستيريا الجموعية ، وتخلق مناخاً من القلق والتوتر ترتع فيه

الجريمة والمخدرات والعنف ، وتدفع بالشباب إلى التطرف كحل نهائى لكل شيء .

هل تلك الإنحرافات مجرد مصادفات تداعت الواحدة تلو الأخرى بغير قصد أم هى بفعل فاعل ؟

هل هذا المسرح اللا معقول والعبثى حدثا اتفاقاً ، أم أن له مخرجين ومهندسى ديكور وإضاءة وملابس وكتاب سيناريو وحوار ؟

ساذج من يتصور أن ما يجرى على مسرح العالم مجرد مصادفات ، وأن الدولار يرتفع والذهب ينزل والبترول يهوى ، والفحش يشيع والإنقلابات العسكرية تتوالى فى دول أمريكا اللاتينية وفى أفريقيا ، والحروب الصغيرة تأكل أرزاق دول المنطقة العربية .. يحدث كل هذا مصادفة واتفاقاً وبدون تخطيط .

صحيح أن ما يجرى فى العالم هو حاصل جمع شرور الناس وعيوبهم وسلبياتهم . ولكن تداعى سيناريو الأحداث بهذه الصورة وحدوث الفوضى بهذه الكيفية يؤكد أن هناك مخرجين لسبب بسيط ووجيه أن هناك مستفيدين من هذه الفوضى ، فالدول الفقيرة تزداد فقراً والدول الغنية تزداد غنى ، والكثرة الجاهلة تزداد جهلا وغباء ، والقلة العالمة تزداد علماً وذكاءً ،

والحوادث تجرى لصالح قلة قليلة تحرك خيوط عرائس الحكومات التى تحكم هنا وهناك .

والمستفيدون دول كبرى ومن وراء تلك الدول الكبرى مؤسسات صهيونية متغلغلة فى جميع هياكل صنع القرار ، وفى جميع هياكل النشر والإعلام والفن والفكر ، وأصابعها الخفية تقوم بتشكيل المسار المنحدر الذى يتدحرج عليه العالم ويهوى إلى غير نهاية .. وهى تعمل منذ مئات السنين فى دأب وإصرار ومثابرة ، ومؤشرات الحوادث وحركة التاريخ قد استجابت للكثير مما خططت له ، فها هى إسرائيل تصعد إلى عنفوانها وتردد إذاعة لندن كذباً أو صدقاً أنها تمتلك مائة قنبلة نووية ويعلن ريجان أن استراتيجية أمريكا هى استراتيجية إسرائيل فى الوقت الذى تحتل فيه إسرائيل سوريا ولبنان والأردن وتبنى المستوطنات فى الضفة دون أدنى التفات إلى قرارات مجلس الأمن .

فأين نحن من كل هذا ؟

هل من عمل ولو كان الحد الأدنى من العمل .. هل من وعى لما يجرى حولنا فى الساحة ؟

على الأقل يحارب كل منا الفساد فى بيته وفى بلده وفى وطنه .. ونجتمع كإخوة لنستعد ونتأهب للاحتمالات ، ونتدارس مصالحنا

المشتركة ونتذكر أننا برغم ضعفنا فإننا بالإيمان والعلم نصبح قوة مؤثرة ..

ولا يدفعنا تقدمهم وتخلفنا إلى يأس .. فلا أحد يبقى على القمة .. وكم من أمم أوتيت الأسباب وبلغت الذروة ثم دالت وانتهت وأصبحت فى آخر الصف .. وأين إنجلترا اليوم من بريطانيا الأمس .. وأين النمسا اليوم من الأمبراطورية النمسوية التى حكمت أوربا بالأمس .. ومن كان يظن أن الماركسية تنهزم فى داخل الصين ذاتها ويقوم من الصين حكام يهاجمون الفكر الماركسى وينعتونه بالتخلف والجمود .. ولكنها سنة الوجود أن لا شىء يبقى على حاله .

وإسرائيل بدون التأييد الأمريكى والأوربى تموت كجنين انقطع حبله السرى ، فلا قوة لها من ذاتها وإنما قوتها طفيلية مستعارة .

وإسرائيل بدون الانقسام العربى تفقد مستقبلها .

وليس صحيحاً أنهم أمامنا حضاريًّا .. فالحضارة المادية حضارة دخلت فلك الغروب بينما الحضارة الإسلامية تعاود اليوم شروقها ، والزمن قد استدار ليعود من حيث بدأ مفتتحاً حقبة جديدة .. وليس مطلوباً منا إلا أن نكون مسلمين بحق مؤمنين

بحق ، وأن نأخذ بأسباب العلم والعمل ، وأن نتحد ونستعد دون عجلة ودون هتاف ودون حساسيات أو تطرف ، وإنما برؤية موضوعية وعمل دءوب وفكر مستنير .. إسلام العلم والعمل وليس إسلام الانقلابات والإضرابات وخطف الطائرات .

وقد ظلت القدس فى أيدى الصليبيين سنوات طوال ثم عادت إلى عروبتها برغم الجيوش الأوربية التى كانت وراء الحملة الصليبية بخيلها ورجلها .

وغداً تعود القدس ، برغم كل هذا العلو الذى بلغته إسرائيل .. فلم يكن هذا العلو إلا مظاهرة أمريكية ومؤامرة إنجليزية وتورط أوربى وانقسام عربى ، وهى أمور لن تستمر طويلا .

وعمر الخيانات ساعة وعمر الحق بطول الأبد . فلا تتعجلوا يا قوم واثبتوا على الحق فلم يمض بعد من التاريخ إلا دقائق ..

نقطة من البحر المحيط

في ساعات الصفاء حينما تنقشع الغواشي عن القلب وتنجلى البصيرة ، وأرى كل شيء أمامى بوضوح ، تبدو لى الدنيا بحجمها الحقيقى وبقيمتها الحقيقية ، فإذا هى مجرد رسم كروكى أو ديكور مؤقت من ورق الكرتون ، أو بروفة توزع فيها الأدوار لاختيار قدرات الممثلين ، أو مجرد ضرب مثال لتقريب معنى بعيد ومجرد وهى فى جميع الأحوال مجرد عبور ومزار ومنظر من شباك فى قطار .

وهى الغربة وليست الوطن .

وهى السفر وليست المقر .

أعجب تماماً وأدهش من ناس يجمعون ويكنزون ويبنون ويرفعون البناء وينفقون على أبهة السكن ورفاهية المقام .. وكأنما هو مقام أبدى .. وأقول لنفسى أنسوا أنهم فى مرور ؟ . ألم يذكر أحدهم أنه حمل نعش أبيه وغداً يحمل ابنه نعشه إلى حفرة يستوى فيها الكل ؟ .. وهل يحتاج المسافر لأكثر من سرير سفرى وهل يحتاج الجوال لأكثر من خيمة متنقلة ؟ .

ولم هذه الأبهة الفارغة ولمن ؟ .

ولم الترف ونحن عنه راحلون ؟ .

هل نحن أغبياء إلى هذه الدرجة ؟ . أم هى غواشى الغرور والغفلة والطمع وعمى الشهوات وسعار الرغبات وسباق الأوهام ؟ . وكل ما نفوز به فى هذه الدنيا وهمى ، وكل ما نمسك به ينفلت مع الريح .

والذين يتقاتلون ليسبق الواحد منهم الآخر ، أكثر عمى ، فالشارع سد عند نهايته وكل العربات تتحطم ويستوى فيها السابق باللاحق ، ولا يكسب أحد منهم إلا وزر قتل أخيه .. بل إن أكثر الناس أحمالا وأوزاراً فى هذه الدنيا هم الأكثر كنوزاً والأكثر ثراءً ، فكم ظلموا أنفسهم ليجمعوا ، وكم ظلموا غيرهم ليرتفعوا على أكتافهم .

ولعلنا سمعنا مثل هذا الكلام ونحن نلهث متسابقين على الطريق .. فهو كلام قديم قدم التاريخ رددته جميع الأسفار وقاله جميع الحكماء ولكننا لم نلق له بالا ولم يتجاوز شحمة الأذن .

ومازلنا نسمع ولا نسمع برغم تطور أدوات الاستماع وكثرة الميكروفونات ومكبرات الصوت ، ولاقطات الهمس الإلكترونية من فوق الفضاء ومن تحت الثرى .

ومازلنا نزداد صمماً عن إدراك هذه الحقيقة البسيطة الواضحة وكأنها طلسم مطلسم ولغز عصى على الأفهام .

هل نحن مخدرون ؟ .

أم هناك ما هو أقوى أثراً وأكثر شراسة من الخمور والمخدرات ، هى مادية العصر التى طبعت الناس بذلك الشعار المسكر ؟ شعار غامر واكسب .. وانهب واهرب .. وسارع إلى اللذة قبل أن تفوتك .. وعش لحظتك بملئها طولا وعرضا ولا تفكر ماذا بعد فقد لا يكون هناك بعد .

نعم تلك هى الخدعة التى يستدرج إليها الكل .. إنه لا شيء بعد وهى ليست خدعة بل هى روح الفلسفة المادية ويقينها .. إنه لا شيء سوى ما نرى ونسمع ونذوق ونلمس من ماديات ، وأنه ليس وراء هذه الدنيا شيء ونفوسنا الأمارة استراحت إلى هذه الفلسفة لأنها تشبع لها رغائبها وتحقق لها مشتهياتها ، والحيوان فى داخلنا اختارها لأنها تشبع غرائزه .

ألم يدع الصوفى الكامل أبو الحسن الشاذلى ربه متوسلا أن يأخذه من هذه النفس فقال .. رب خذنى إليك منى ، وارزقنى الفناء عنى ، ولا تجعلنى مفتوناً بنفسى محجوباً بحسى .. وتلك النفس هى الفتنة والحجاب وهى التى أفرزت هذه الحضارة المادية وروجتها .

ألم يسأل داود ربه : يارب كيف أصل إليك . فقال له ربه ..

اترك نفسك وتعال .. أن يترك هذه النفس لأنها العقبة .. ﴿ فلا اقتحم العقبة . وما أدراك ما العقبة . فك رقبة ﴾ (١١ - ١٣ البلد) .

لا انفكاك من هذه العقبة إلا بالانفكاك من طمعك .. فتفك الرقبة وتطعم المسكين وتؤثر غيرك على نفسك . ولذلك لم يطلب الإسلام من المسلم نبذ الدنيا وإنما طلب منه قمع النفس وكبحها وشكمها .. لأن النفس هى الأصل .. والدنيا مجرد أداة لتلك النفس لتختال وتزهو وتتلذذ وتستمتع .

إن النفس هى الموضوع وهى ميدان المعركة ومحل الابتلاء ، والدنيا ورقة امتحانها ، ومطلوب الدين هو الإرتقاء بهذه النفس والارتفاع بها من شهوات البطن والفرج ومن شهوات الجمع والاكتناز ، ومن حمى الاستعراض والكبر والتفاخر ليكون لها معشوق أرقى هو القيم والكمالات ، ومعبود واحد هو جامع هذه الكمالات كلها ..

وإنما تدور المعركة فى داخل النفس وفى شارع الدنيا حيث يتفاضل الناس بمواقفهم من الغوايات والمغريات وما تعرض عليهم شياطينهم من خواطر السوء ومن فرص اللذة كل لحظة .

ولم يطلب الإسلام من المسلم أن ينبذ الدنيا ، بل طلب منه أن

يخوضها مسلحاً بهذه المعرفة ، فالدنيا هى مزرعته وهى مجلى أفعاله وصحيفة أعماله .

وقدم له فلسفة أخرى فى مواجهة الفلسفة المادية .. قدم له فلسفة استمرار وبقاء فهو لن يموت ويمضى إلى عدم .. بل إلى حياة أخرى سوف تتعدد فصولا وتمضى به كدحاً وجهاداً حتى يلقى ربه : ﴿ يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه ﴾ . (٦ - الإنشقاق) .

الحضارة المادية لم تقدم للإنسان إلا الموت وحياة تمضى سدى وتنتهى عبثاً .. أما الإسلام فقدم للإنسان الخلود وحياة تمضى لحكمة وتنتقل من طور إلى طور وفقاً لنواميس ثابتة من العدل الإلهى ، حيث لا يذهب أى عمل سدى ولو كان مثقال ذرة من خير أو شر .. فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شرًّا يره .

واليوم تصل الحضارة المادية إلى ذروة من القوة والعلم وتكتمل لها أدوات الفعل والتأثير من إذاعة وتليفزيون وسينما ومسرح وكتب ومجلات ، وهى سواء كانت أمريكية أو سوفيتية ، فهى لا تفتأ تغتال العقل والروح وتتحالف على الإنسان بخيلها ورجلها ، ولكنها برغم كل شىء ضعيفة متهافتة واهية لأنها تغتال نفسها ضمن ما تغتال وتأكل كيانها ، وسوف تقتتل مع بعضها

البعض وتتحارب بالمخلب والناب وبالقنابل الذرية والقذائف النووية فالطمع والجشع حياتها وموتها .

وعلى رقعة صغيرة من الأرض يقف الإسلام كمنارة فى بحر لجى مظلم متلاطم الموج يعج بالبوارج والغواصات وحاملات الصواريخ وحاملات الرءوس النووية .

وما أكثر المسلمين ممن هم فى البطاقة مسلمون ، ولكنهم فى الحقيقة ماديون اغتالتهم الحضارة المادية بأفكارها وسكنتهم حتى الأحشاء والنخاع ، فهم يقتل بعضهم البعض ويعيشون لليوم واللحظة ويجمعون ويكنزون ويتفاخرون ولا يرون من الغد أبعد من لذة ساعة ، ويتكلمون بلغة سوفيتية أو لغة أمريكية ولا يعرفون لهم هوية ..

وقد نجد من يصلى منهم إلى القبلة خمس مرات فى اليوم ولكن حقيقة قبلته هى فاترينة البضائع الاستهلاكية .

ولا يبقى بعد ذلك إلا قليل أو أقل القليل ممن عرف ربه .

ولو بقى مؤمن واحد مرابط على الحق فى الأربعة آلاف مليون فهو وحده أمة ترجحهم جميعاً عند الله يوم تنكشف الحقائق وينهدم مسرح العرائس ويتمزق ديكور الخيش والخرق الملونة ،

وتنهار علب الكرتون التى ظنناها ناطحات سحاب وتنتهى الدنيا .

وحينئذ وعندما تهتك الأستار وتقام الموازين ، سوف نعرف ما الدنيا وماذا تساوى .. وماذا يساوى كل الزمن حينما نضع أقدامنا فى الأبد .

وحينئذ سوف نتذكر الدنيا كما نتذكر رسماً كروكيًّا ، أو مسرح خيال الظل ، أو نموذج مثال مصنوع من الصلصال لتقريب معنى بعيد بعيد ومجرد ..

وسوف نعلم أنها ما كانت سوى النقطة التى فيها كل أملاح البحر المحيط ، ولكنها لم تكن أبداً البحر المحيط ..

الصغير والكبير

من قوانين الكون التى تحكم الأجرام والأفلاك كلها ، أن الصغير يتبع الكبير ويدور حوله .. فنرى الأرض تتبع الشمس وتدور حولها .. كما نرى القمر يدور حول الأرض ويتبعها .. كما نرى المجموعة الشمسية كلها تدور حول المجرة .. وهكذا دواليك .. الأصغر يتبع الأكبر .. ونفس الشىء فى الذرة فالإلكترون المتناهى فى الصغر يدور حول نواة الذرة الأكبر منه .. ولا يختلف هذا القانون أبداً .. بل نراه يعمل فى الأسرة والمجتمع والتاريخ .. فالأمم الضعيفة تدور فى فلك الأمم القوية .. والأخوة الصغار ينقادون للأخ الأكبر .. والمرأة تدور فى فلك الرجل .. والأب هو المجال الكبير الحاكم الذى ينقاد له الأولاد ويدورون حوله .

هذا القانون الفيزيائى هو أكثر من مجرد قانون فهو دين ونظام ، فإذا رأينا فى هذا الزمان سقوط هيبة الكبار وتمرد الأبناء على الأباء وهيمنة النساء على الرجال ، وتطاول الرعاع على الصفوة فإن هذا إيذان بانهيار العمارة الكونية كلها وسيادة مبدأ الفوضى .

وإذا كان هناك فيلسوف واحد له الشرف فى إحداث هذا الفساد العام الشامل الكامل فهو كارل ماركس اليهودى الذى

نادى بهدم البورجوازية وسيادة البروليتاريا والذى جعل الفأس والمطرقة والسندان أشرف وأعلى من العقل الذى يحركها ، وجعل الجسد وهمومه ومطالبه أعلى من الروح وشئونها ، ثم تطاول على الله الأكبر فأنكره وخلعه من عرشه ووضع المادة مكانه ، وقال عن الدين إنه الأفيون الذى يخدر به السادة ضحاياهم من العبيد .. وهكذا أثار الأحقاد وحرض الصغار على الكبار ، وقلب الأبناء على الآباء والعمال على أصحاب الأعمال ، والمحكومين على الحكام ، والمرءوسين على الرؤساء ، والناس إللى تحت على الناس إللى فوق .

وباشتعال الثورة واتساع دواماتها وسقوط الكبار فى كل مكان ، سقط مبدأ الاحترام وحل محله الإرهاب ، وسقط الضمير وحل محله الكرباج ، وسقطت القيم وحلت محلها المصالح ، وسقطت الثقافة وحلت محلها الغوغائية ، وسقط العقل وحل محله صراخ الجوع ونداء المعدة ، وضاع النبل وحل محله صوت الانتقام والتشفى .

وقد عانت كل دولة سارت فى فلك هذا الفكر الثورى ، وانحدرت إلى العقم الاقتصادى وهبوط الإنتاج والبيروقراطية وأساليب القمع البوليسى والتبعية ، حدث هذا فى كوبا وفى اليمن الجنوبية .. والمجر وتشيكوسلوفاكيا وبولنده وحتى فى روسيا ذاتها .

وحينما بدأ الفكر الماركسى يتراجع ويغير جلده ويبدل لونه ومذهبه ، ويحاول أن يتصالح مع الدين ، كان قد فات الأوان وبرح الخفاء وظهرت الطبيعة الانتهازية للمذهب ، فهو يصافح المسلمين بيد ويطعنهم باليد الأخرى فى أفغانستان ، ويقتلهم بالغازات السامة ويمزقهم بالقنابل ويحرق عليهم أكواخهم وحقولهم ومواشيهم .

والصراع مستمر .. والقصة لم تتم فصولاً ومازالت الطبقات متربصة بعضها ببعض ، ولقد كان لنا نصيب من هذا الصراع نحن وسوريا والعراق وكل بلد عربى مرت عليه رياح التغيير .. فلقد ساد النفاق حتى أصبح ملة جديدة .. فما أسهل ما سقط جبابرة المال والأرض .. وما أسهل أن يسقط الباقى ممن يملك أى شيء بحق أو باطل .. وهكذا سرحت الكراهية والبغضاء طليقة تأكل فى الجسم الاجتماعى كله ، حتى انتهت بالمسيرة المصرية إلى هزيمة ١٩٦٧ ، ونكأت تلك الهزيمة الجرح وعرت الثوب المهلهل وفضحت المذهب ورجاله .

وما حدث بعد تلك الهزيمة من نقد ذاتى وإعادة للحسابات أطلق رياح التغيير هذه المرة فى الاتجاه المضاد ، فسقطت دولة المخابرات وسقطت مراكز القوى ، ثم جاءت ثورة ١٥ مايو لتصحح المسيرة ولتحرر الإرادة المصرية من التبعية للفكر

الماركسى ، ولتطلق الاقتصاد حرًّا بثورة الانفتاح ولتكسر احتكار السلاح ، ثم جاء انتصار ١٩٧٣ ليؤكد سلامة الخط السياسى الجديد .

واليوم يقف حسنى مبارك فى عيد ٢٣ يوليو ليطلق طاقات الإبداع فى كل مكان ويهيب بكل مواطن ليشارك فى الثورة الإنتاجية وفى إصلاح الاقتصاد .. وذلك هو التحدى الأكبر .. لأنه يحتاج إلى صحوة سلوكية من كل مواطن .

وأعود إلى بداية المقال .. فأقول إن عشرين سنة من التبعية لفكر فاسد أدى إلى سقوط هيبة الكبير وغلبة الانتهازية والنفاق والأحقاد ، وسيطرة المصلحة المادية وغيبة الانتماء وانتشار السلبية واللامبالاة .. وهى أمراض من بقايا ذلك العهد مازلنا نعانى منها .

وما نرى حولنا من تمرد الأبناء على الآباء وتطاول الرعاع على الصفوة واستهتار كل مرءوس برئيسه ، وتسلق كل صغير على كبير ليسقطه ، هى بعض ما أصاب الإنسان المصرى من ذلك العهد .

وإصلاح هذه السلبيات هو التحدى الأكبر الذى تتطلبه المرحلة من أجل الصحوة السلوكية اللازمة .. ولا سبيل إلى ذلك إلا بالعودة إلى القانون الأول .. قانون احترام الصغير

للكبير .. فهو القانون الذى يقوم به هيكل العالم وتتماسك به أجزاؤه وتصلح عمارته . على الكبير أن يكون كبيرًا وآمرًا ، وعلى الصغير أن يكون صغيرًا ومطيعًا .

وعلى كل واحد أن يلزم مكانه ويعرف قدره .

لقد فزعت وأنا أشاهد برنامجًا تليفزيونيًّا اسمه الكاميرا الخفية ، وفى هذا البرنامج يظهر المذيع بذراع مكسورة فى الجبس ويطلب من شاب أن يساعده فى كتابة خطاب لأبيه .. ثم يبدأ يملى عليه خطابًا كله أكاذيب .. فهو يدعى لأبيه أنه كف عن شرب السجائر مع أنه يدخن ، ويدعى أنه تخرج بتفوق وأخذ الدبلوم مع أنه مازال طالبًا .. إلخ إلخ .. وسلسلة وقحة من الأكاذيب .. مع ذلك نرى الشاب يكتب ما يملى عليه من أكاذيب وهو يضحك .. وكأنما هو أمر طبيعى جدًّا أن نكذب على الآباء ونخدعهم .. ويتكرر المشهد مع عدد من شباب الجامعة .. دون أن يقف واحد ليمزق ما يكتب ويرفض أن يعين الكاتب على كذب .. مشاهد مخجلة حقًّا . .

هل أصبح الصدق غريبًا على شبابنا لهذه الدرجة وهل بات من الطبيعى أن يكون الأب مخدوعًا والابن خادعًا .

متى يعود الكبير كبيرًا .. ؟ ومتى يعود الصغير صغيرًا .. ؟ .

إن عمارة الكون تؤذن بانهيار إن لم يصحح هذا الذى فسد فى علاقات الناس ، فيعود الكبير كبيرًا ويعود الصغير صغيرًا ويعرف كل واحد قدره .

إن هذا المبدأ الاجتماعى ليس أمرًا تافهًا ، بل هو ناموس كونى .

ولا أحب أن يفهمنى القارئ خطأً فيتصور أن مقصودى من كلمة الكبير والصغير هو صاحب السن الكبيرة وصاحب السن الصغيرة فما قصدت هذا ، وإنما قصدت صاحب الخبرة الأكبر وصاحب الحكمة الأكثر وصاحب العلم الأكثر وصاحب المعرفة الأعمق .

وقد يكون صاحب المعرفة الأعمق هو الأصغر سنًّا .. ألم يكن النبى إبراهيم هو الواعظ لأبيه وهو الأصغر سنًّا .

إنما مرادى هو احترام صاحب الخبرة الأكبر وصاحب الكفاءة الأكثر .. مرادى أن يكون أهل الصفوة وأولو الألباب هم القادة ، وأن تكون الطاعة حقًّا لهم .

إن اليابان صنعت معجزة فى فن الإدارة وصعدت من دمار ذرى كامل إلى كرسى السيادة الاقتصادية بهذا المبدأ البسيط .. احترام الصغير للكبير والانتماء للبيت والمصنع والوطن والطاعة

من المرءوس لرئيسه .. تلك الطاعة التى تصل إلى حد الولاء الدينى وكان هذا هو المفتاح السحرى الذى فتحت به بوابة القرن العشرين .

وهو مثال أضربه للعبرة والاستفادة . فلنحاول أن نكون أول المستفيدين .. ولنتعلم . .

الوصايا العشر لكل حاكم

تخيلت نفسى أخاطب كل جالس فى سدة الحكم ، وكل قابض على مقدرات بلده ، ماذا أقول له وبماذا أنصحه ، فى هذا العصر الذى انقلبت فيه المقاييس وتغيرت المفاهيم ، وأصبحت الكلمات شراكًا خداعية وأصبحت المثل والقيم الشريفة والأديان فخاخًا تستدرج بها الأمم إلى مصارعها ، وتحول العلم إلى قوة ضد الإنسان بدلاً من أن يكون قوة معه ، وأصبحت الحرية حبالاً أنيقة من حرير يشنق بها أصحابها ، وأصبحت الإبادة الجماعية للشعوب اسمها اشتراكية ، وطاغوت الدولة اسمه تقدمية ، والعفة والطهارة اسمها رجعية ، وأصبحت الغازات السامة اسمها تمشيط الجبل وتطهيره من المخربين ، والمخربون اليوم فى أفغانستان هم كل وطنى شريف يكافح ليحرر بلده .

فى هذه السوق الحافلة بالتزييف والتضليل ، وفى زحام حملة المباخر الذين يطلقون دخان التعمية ، وبين رايات مرفوعة أكثرها كاذب ، لا أرى وصاياى العشر إلا مختلفة قليلاً عن وصايا موسى .. سوف تختلف فى الأبجدية لأن أبجدية العصر اختلفت ، ومعظم المعانى الباطلة لبست ثيابًا غير ثيابها وتنكرت فى حروف غير حروفها ، سوف أقول لكل حاكم :

– الاستقلال فى عالم اليوم هو أن تصنع سلاحك ورغيفك

بيدك .. ألا ترى اليابان تفرض إرادتها برغم أراضيها المحتلة ، وذلك بالإنتاج المتدفق الذى يخرج من المصنع وبامتلاك الأسواق والهيمنة على الأرزاق .

– اجعل قاعدتك الذهبية أن تتجنب الحرب ، وذلك بالاستعداد الأقصى للحرب حتى يهابك الكل ولا يطمع فيك أحد .. ذلك للأسف هو الأسلوب الوحيد للسلام .

– الاقتصاد الحر الموجه هو النظام الأمثل للإنتاج الأمثل .. أما الاشتراكية فهى الرحمة التى باطنها العذاب ، وهى الباب الذى يؤدى إلى الكسل والتواكل والبيروقراطية والظلم المنظم . انظر إلى ما فعله التأميم فى مزارع أنشاص ، وما فعله بشركات الأتوبيس ، وفى روسيا كيف هبط بإنتاج أكرانيا من القمح ، فأصبحت روسيا تمد اليد لأمريكا لتشترى رغيفها .. انظر إلى آلة الإنتاج فى اليابان وانظر إلى آلة الإنتاج الكسيحة فى بولنده .. حتى العمال أصحاب المصلحة الذين قامت الاشتراكية من أجلهم رفضوها ، ووضعت نقابة التضامن فى بولنده صور البابا مكان صور ماركس ولينين .. وماذا تتوقع من نظام يحول الدولة إلى ديوان موظفين .. هل سمعت عن واحد يهرب من أوربا الغربية إلى أوربا الشرقية ؟ هل سمعت عن عامل هرب من إنجلترا إلى روسيا ؟ هل قرأت عن زخاروف ؟ وإذا كانت

النظم الاشتراكية ما زالت موجودة فلأنها كانت الوسيلة المفضلة لكل جبار يريد أن يضع لقمة الكل ورقاب الكل تحت يده .. فلا تكن ذلك الحاكم أبدًا .

- إذا كنت حاكمًا لبلد صغير ضعيف فتجمع مع غيرك من الضعفاء تصنع بتجمعك قوة تجلس بها على مائدة الأقوياء .

- أدخل عصرك من باب الكومبيوتر والتكنولوجيا وميكنة الزراعة ، وإذا لم تعرف مفاتيح هذه الأبواب فأنت وراء التاريخ وخلف العصر الحجرى .

- المسجد .. الجامعة .. القضاء .. البرلمان .. أكاديمية البحث العلمى .. الكونسرفتوار .. المسرح .. الصحافة الحرة .. هذه هى أعمدة الحضارة وبقدر إسهامك فيها بقدر ما تصنع لبلدك من حضارة .

- ضمان حرية المواطن وكفالة تطبيق القانون ومجتمع الشورى والديموقراطية بمفهومها الإسلامى .. هى أعمدة الحكم السليم .

- الحاكم الذى يبقى ذكره على مدى الدهر .. هو الحاكم البناء الحاكم ذو اليد الخضراء الذى يخضر الصحارى وينشر العمار ، ويحفر الأرض لتتدفق بالماء والبترول والثروة المعدنية ، وينشر الأمان والسلم بين الربوع .. وليس هو الحاكم صاحب

الفتوحات والانقلابات ولا صاحب الصوت المدوى فى أجهزة الإعلام ولا صانع الفتن .. فهؤلاء قنابل صوتية من الضوضاء الفارغ تصنع ضجيجًا لبرهة قصيرة ثم ما تلبث أن يطويها النسيان وتخلف وراءها ذكرى سيئة وكابوسًا يتنفس الناس الصعداء لأنه انزاح عنهم .

– تذكر أن الله يملكك ويملك الأرض ومن عليها ، ويملك الماضى والحاضر والمستقبل ، فحاول أن ترضاه بالإيمان به وشكره وطاعته وتطبيق شريعته .

– الذين يرفعون راية الإيمان ويطلقون من خلفها الرصاص كذابون ، فقد جعلوا من أنفسهم قضاة وجلادين ، وهذا ليس إسلامًا ولا هم بمسلمين ، بل هم عملاء تخريب يعملون لحساب الشرق والغرب ، وهم مجرمون من اختصاص الشرطة والأمن ومحكمة الجنايات .

إن الرصاص لم يصنع سلامًا فى لبنان ولم يصنع وحدة ولم ينصر إسلامًا ولا مسيحية ولم ينصف أحدًا من أحد ، وإنما أحال البلد الصامد إلى جدار ملىء بالثغرات ، يتسلل منها الروس والأمريكان والإسرائيليون والدخلاء والمنتفعون بالخراب من جميع الملل .

اقطع دابر هذه الفتن بالعقاب الباتر الحاسم واقتلع العنف

بعنف أشد منه ، حتى لا يتمكن فى الأرض ولا تنمو له جذور .

تلك وصايا عشر أقولها فى استحياء وأنا أشكر ربى وأحمد ظروفى على أنى لست رئيسًا ولا حاكمًا ، فتلك مسئولية تزلزل العقل وهى فى دوامات الرعب التى نعيشها أشبه بركوب طوفان أو قيادة عربة فى رمال متحركة .

وإذا كان لى أن أختار وصية واحدة من العشر أحملها لرئيسنا .. فإنى أقول بإخلاص .. تجنب الحرب ولا تدع أحدًا يجر رجلك إليها ويستدرجك بمختلف الذرائع ..

إن تجنب الحرب فن .. أحيانًا يحتاج الأمر إلى حرب صغيرة لنتجنب بها حربًا كبيرة . وأحيانًا يحتاج الأمر إلى إظهار المخالب والأنياب وأحيانًا إلى مجرد سلاح رادع ، وأحيانًا إلى استراتيجية التفاهم والمصالحة والمهادنة ، وأحيانًا إلى اختيار الوسط العدل بين الشرق والغرب الذى لا تسلم فيه نفسك إلى أى من المعسكرين . ولا تكون أداة لأيهما ، وأحيانًا إلى دبلوماسية المكر والدهاء وتوزيع الابتسامات على كافة أطراف المافيا الدولية .

وفى جميع الأحوال لن يجنبك الحرب إلا أن تكون قويًا مهابًا ، وأن يرى أعداؤك أن مسدسك محشو وقميصك لن يخترقه الرصاص .. فذلك هو أسلوب السلام الوحيد فى عالم الغدر الذى نعيش فيه .. فكن دائمًا ذلك الرجل القوى .

فإذا وقعت الواقعة وسعى إليك الشر الذى لا مهرب من دفعه إلا بشر مثله ، فلتكن أنت الذى تختار الزمان والمكان للمعركة ، ولا تدع عدوك يختار لك اليوم والساعة كما حدث فى حرب ٦٧ ، ولا تدخل الحرب وحدك ، وإنما ادخلها جماعة وادخلها على الحق فيد الله دائمًا مع الجماعة .

وتذكر أن عدة الحرب ليست السلاح وحده ، وإنما الاقتصاد المتين وآلة الإنتاج النشيطة فى الخطوط الخلفية ومحاصيل زراعية وفيرة تؤمنك من الجوع ، بل إيمان وانتماء وقيم ونظام وانضباط يحكم السلوك العام ، وهى أولويات تحتاج إلى وقت وإعداد ، وخطة فى التربية ، وخطة للزراعة ، وخطة للصناعة ، وخطة للإعلام تنقل بها بلدك من حالة النوم والاسترخاء إلى وضع انتباه .

إن إصلاح الإنتاج والاقتصاد كان دائمًا همك الأول ونشاطك فى هذا واضح وملحوظ ، فإذا كانت عجلة الإصلاح لا تسير بالسرعة التى تتمناها ، فالسبب أن وراء الإنتاج يقف الإنسان ولابد من إصلاح الإنسان فى نفس الوقت .

وإصلاح الإنسان معناه تطوير البيت والمدرسة والجامعة والشارع والتليفزيون . والتليفزيون الآن قوة هائلة تشكل العقل والسلوك مثل الجامعة والكتاب ، وهى أقوى أثرًا من الاثنين

والشاشة الصغيرة لها أثر حاكم ، فهى تستطيع أن تقتل الوقت وتستطيع أن تحييه ، ولا أحب أن أترك الكلام يتفرع بنا وإنما أعود فأجمع الخيوط فى نقاط ثلاث .. هى إصلاح آلة الإنتاج ، وإصلاح الإنسان الواقف خلف الآلة ، وتوفير السلام والاستقرار والأمن الضرورى ، ليؤتى الإصلاح ثمرته .. هذا هو الثالوث الذى يصنع المستقبل فاجعله فى بؤرة اهتمامك على الدوام .

الفهرس

صدر للمؤلف

١ - الله والإنسان
٢ - أكل عيش
٣ - عنبر ٧
٤ - شلة الأنس
٥ - رائحة الدم
٦ - إبليس
٧ - لغز الموت
٨ - لغز الحياة
٩ - الأحلام
١٠- أينشتين والنسبية
١١- فى الحب والحياة
١٢- يوميات نص الليل
١٣- المستحيل
١٤- الأفيون .. (سيناريو)
١٥- العنكبوت
١٦- الخروج من التابوت
١٧- رجل تحت الصفر
١٨- الإسكندر الأكبر
١٩- الزلزال
٢٠- الإنسان والظل
٢١- غوما
٢٢- الشيطان يسكن فى بيتنا
٢٣- الغابة
٢٤- مغامرة فى الصحراء
٢٥- المدينة (أو حكاية مسافر)
٢٦- اعترفوا لى
٢٧- ٥٥ مشكلة حب
٢٨- اعترافات عشاق
٢٩- القرآن محاولة لفهم عصرى
٣٠- رحلتى من الشك إلى الإيمان
٣١- الطريق إلى الكعبة
٣٢- الله
٣٣- التوراة
٣٤- الشيطان يحكم
٣٥- رأيت الله
٣٦- الروح والجسد
٣٧- حوار مع صديقى الملحد
٣٨- الماركسية والإسلام
٣٩- محمد
٤٠- السر الأعظم
٤١- الطوفان
٤٢- الأفيون .. (رواية)
٤٣- الوجود والعدم
٤٤- من أسرار القرآن

* مجموعة المؤلفات الكاملة *

قصص مصطفى محمود	صدرت فى بيروت عام ١٩٧٢
روايات مصطفى محمود	صدرت فى بيروت عام ١٩٧٢
مسرحيات مصطفى محمود	صدرت فى بيروت عام ١٩٧٢
رحلات مصطفى محمود	صدرت فى بيروت عام ١٩٧٢

حازت رواية « رجل تحت الصفر » على جائزة الدولة لعام ١٩٧٠

رقم الإيداع		١٩٩٣ / ٣٣٥٦
الترقيم الدولى	977-02-4018-4	ISBN

١ / ٩٣ / ٢٦
طبع بمطابع دار المعارف (ج٠م٠ع٠)

هذه المجموعة

تحرص دار المعارف دائما على تقديم الأعمال الكاملة لكبار المفكرين والأدباء. والدكتور مصطفى محمود واحد من هؤلاء الذين أخلصوا للقلم.. فأثرى ساحة الفكر والعلم.. وطَرَقَ أبوابًا جديدة لم تفتح من قبل.. فتنوع إنتاجه بين القصة والرواية والمسرحية وأدب الرحلات.. إلى جانب تلك المؤلفات التى تحفل بالنظرات المعاصرة للفكر الدينى والمقارنة بالنظرات العلمية الحديثة.. والتى لاتزال تثير مزيدًا من الجدل المفيد.

وقد امتد تأثير فكر الدكتور مصطفى محمود إلى القراء العرب من الخليج إلى المحيط كما ترجمت بعض أعماله إلى اللغات الأجنبية شاهدة بقدرته على العطاء المتميز المتنوع.

